رحلة واحدة

وسَبْع طائرات

الطبعة الأولى
1440 هـ
2019 م

اسم الكتاب: رحلة واحدة وسَبْع طائرات
التأليف: ناصر صلاح
موضوع الكتاب: أدب رحلات
المراجعة اللغوية: عبدالقادر أمين
عدد الصفحات: 88 صفحات
عدد الملازم: 5.5 ملزمة
مقاس الكتاب: 14x20
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2019/3733
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 278 - 640 - 4

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

دار البشير للثقافة والعلوم
elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com
01152806533 - 01012355714

رحلة واحدة
وسَبْع طائرات

ناصر صلاح

دار البشير للثقافة والعلوم

إهـــداء

إلى أحمد ناصر.. بداية الغيث
وصلاح ناصر.. ظلّ الحرور
وسعاد ناصر.. زهرتي اليانعة
وأسمهان علي
نهر الحبّ الذي يروى صحراء عمري

إهـــداء خاص

إلى روح النّقيّ الصّفيّ...
المبدع/ مجدي عبد الرحيم- رحمه الله-
أوّل مَن طالبني بنشْر تلك الذّكريات في كتاب.

ناصر

مدخـــل

بيْن طيّات هذا الكتاب، وعلى بريق سطوره- إن شاء الله- أسرد بعضًا من أحداث رحلة سفري إلى طهران عام ٢٠٠٦؛ للمشاركة في مؤتمر القدس الدّولي بطهران ممثّلًا لشعراء مصر مع الشاعر الصّديق سمير فراج.

أتمنّى أن أتذكّر الأحداث من بدايتها إلى نهايتها، فأنا لم أتناولها من قبل رغم تلك الفترة الطويلة.

وكانت هناك محاولة لتسجيلها في وقتها لحظة بلحظة، ولكنْ للأسف فقدت ما تمّ تسجيله.

وهي بالفعل رحلةٌ واحدة، ولكن استقللت خلالها سبعَ طائرات وحدثت فيها أحداث طريفة، وأخرى جادّة، ومن خلال هذه- وتلك- أتمنّى أن نستفيد ونعتبر من المواقف والأحداث.

(١)

قبل البداية

وأنا في الصفّ الرّابع الابتدائي في رعاية جدّي لأمّي بالمنصورة، كان- رحمة الله عليه- فوق السّطوح في وقت العصريّة يعلّمني كيف أكتب مواضيع التعبير.. ويقول لي مثلًا سنتحدّث عن حرب أكتوبر، فلا بدّ أن أقول: كانت بين مَن ومَن، ومَن هذا ومَن ذاك، وهل هناك حروب مِن قبْل بينهما، وما الأسبابُ التي أدّت إليها، وكيف دارت، ومَن انتصر فيها، وما أسبابُ الفوز والخسارة؛ هكذا بكلّ سهولة ويُسرٍ، ونشرع في الكتابة متعاونين، ثمّ يمزّق ما كتبناه، ويقول لي: اكتبْ وحدَك- رحمه الله-، علّمتني تلك اللحظات الجميلة في ريف مصر المُبْهر أنْ أبدأ من قبل البداية.

في عام ١٩٩٧، دَعاني الصديق العزيز أحمد عبد الهادي الصّحفي وقتها، ورئيسُ حزب شباب مصر الآن؛ إلى جلسة بمركز يافا في المعادي مع الصديق الشاعر مسعود حامد، وتحت رعاية الدكتور رفعت سيد أحمد. ويومها، أنشأنا ملتقى الوعْد الأدبي، وهو أوّل وآخر منتدى لأدبِ المقاومة في مصر والوطن العربي، وكان لنا لقاءٌ شهري نستضيف فيه أحدَ الضّيوف من المبدعين ونطبع القصائد الملقاة بالندوة في كتاب دوريّ، كان يرسل منه نسخًا إلى الأردن

وفلسطين ولبنان وإيران والمغرب والجزائر وسوريا، وكان هناك جيلٌ رائعٌ وقوي من شعراء المقاومة مثل: الدهشان، ومحمد عباس، وإيهاب البشبيشي، وياسر أنور، وسمير فرّاج، وسعد سليم، وأمين الديب،... و.... و.... لا أريد أن أنسى أحدًا، بالإضافة إلى أساتذتنا مثل: جابر قميحة، والشهاوي، وسليم سعيد، ومحمد يونس، ونجم، والقدّوسي، و... و...و.... وذهبنا إلى المحافظات والمنتديات والمعارض، وعُرف الملتقى بملتقى شعراء المقاومة.

وفي عام ٢٠٠٥، أثناء التّغيرات الدّستورية الأولى وانتخابات الرّئاسة، كتبت قصيدةً شهيرة بعنوان المبايعة ردًّا على المظاهرات التي اتّهمت مبارك بتغيير الدّستور لصالحه، وكان من ضمن ما كتبته فيها (نفسُه يرأس فترة خامسة رقصّوه.. عاوز ابنه ييجي بعْده بعّدوه.....) وقيلت في مؤتمر حاشدٍ في وادي النطرون، وكنت بصحبة عمّنا جابر قميحة- رحمه الله- وكانت النتيجة مطاردة لمدّة خمس ساعات من وادي النطرون للقاهرة مع الأمن إلى أن وصلنا برعاية الله، ولكن بعدها بأيّام تلقّيت اتصالاً تليفونيًّا من ضابط بأمن الدولة في أسوء مكان لهم (جابر ابن حيان)، لكنّ الرّجل كان لطيفًا وودودًا، وحين استقبلني قال لي: والله ماعوزك عشان شعرك رغم إنّ "رقّصوه" عندي وحلوة قوي- كانت القصيدة تصوّر وتوزّع في المؤتمرات والمظاهرات- المهمّ تذكّروا هذا الرجل جيدًا لأنّه ساعدني على السفر إلى طهران.

(٢)

الدّعوة للسفر

كان لقاءُ محمّد بيه في جابر ابن حيان طيبًا، وكان غرضه الأساسي رؤية هذه الشخصيّة المرشّحة لعضوية مجلس إدارة جمعيّة لذوي الاحتياجات الخاصة، وبعد حوار طريف وذكي ليس وقته الآن؛ صمتَ لفترة فعاجلتُه قائلًا: انت عاوز تسألني علاقتي بالإخوان إيه؟

فانطلقَ قائلًا: بصراحة، إنت شخصيّة محيّرة، في الأخبار لك قصائد، في الحزب الوطني لك ندوات، ومع الإخوان لك ندوات، في الحزب الناصري إللّي انتَ كارهُه لك ندوات، في جريدة الوفد لك قصائد، في الشعب .... وفي ..... وفي..... انت بتاع كلّه، فقلت: نعم لأنّي شاعر فلست لأحد، وعلاقتي بالإخوان أكل عيش ومحبّة، النّقابات المهنية مجالسها من الإخوان منذ التسعينيات، وأنا في نقابة علماء مصر، ومسئول ملفّات التّنسيق بين النقابات والإغاثة وفلسطين.. فعلاقتي أكلْ عيش، ولو وجدتْ نجوى فؤاد كنت مسكت لها الصّاجات، فقال: بصّ يا ناصر باشا، أنا أقسم بالله إنّك مش في الإخوان، لكن عليّ الطّلاق إنت من الإخوان.. (هههههه). وانتهى اللقاء بطرافة أيضًا ليس وقتها.

المهمّ بعدها بأشهر، حدّثني د/ رفعت سيد أحمد عبرَ الهاتف: يا عمّ ناصر، الملتقى هيمثّل شعراء المقاومة في مؤتمر القدس الدولي بطهران في إبريل، فاختار خمسة من شعراء المقاومة تحت رئاستك للسّفر، فقلت للدّكتور: أنا لستُ أهلًا لهذا التّمثيل، لكن هناك الكثير ممّن هُم أفضل منّي، سأختار منهم إن شاء الله، فقال: لا.. الدعوة في الأصل لرئيس الملتقى.

وبدأت القيام بمشاورات مع بعض الزملاء، وفجأة اتّصل بي سمير فرّاج قائلًا: يا ناصر، الدّعوة جت باسمك واسمي فقط، وتمّ رفض باقي الأسماء لأنّهم سيدعون من كلّ بلد شاعريْن فقط.

حزنت جدًّا، واعتذرت عن السّفر، لكن مع إلحاح د/ رفعت والسّفارة الإيرانية امتثلتُ للأمر، وبدأت رحلة لاستشارة المقرّبين هل السّفر مُجدٍّ وبلا مشاكل الآن، واللّا أريّح دماغي م الأوّل؟ وقمت بصلاة اسْتخارة، وعلمت من د/ سعد الكتاتني أنّ الدّعوة رسمية لمجلس الشعب المصري، ومجموعة من المفكّرين، فزادني اطمئنانًا، رغم اعتذاره عن السفر.

وهنا، تذكّرت صاحبنا بتاع أمن الدولة، واتّصلت به، وعاتبني لعدم إرسال أشعاري له (الدّواوين المطبوعة)، المهمّ قلت له: بصراحة، أنا جات لي دعوة للسّفر إلى طهران، أسافر وللّا هارجع م المطار؟ فقال: اتْركني دقائق، وبالفعل بعد ربع ساعة كلّمني: إنت تمام يا ناصر بيه، مفيش مشاكل وهسهّل لك الأمور في المطار. وكذلك فعلت مع المسئول عن النقابات في أمن الدولة، وقال نفس الكلام بالحرف لكن اللّي جرى غير كده خالص، ولا في الاحلام.

(٣)

في المطار

استلمت الجواز والتّذاكر يوم الثلاثاء من السّفارة الإيرانية بالقاهرة، واستلفت حقيبة كبيرة من الشّاعر الصديق سعد سليم، تواعدت مع سمير فرّاج حيث سيقلّنا بسيارته إلى المطار. وصلنا في العاشرة، وكان موعدُ إقلاع الطائرة في الثّانية ظهرًا، ومن المقرّر أن نصل إلى دبي في الثالثة، ونستقلّ في الرابعة طائرة إلى طهران لنصلها في الخامسة من نفس اليوم الثلاثاء- ركّزوا معايا في مسألة الأيّام دي- هذا هو المقرّر على طيران الخليج .. لكن مفيش مقرّر بيحصل أبدًا!!!!

دخلنا المطار، وإلى السّاعة الثانية عشرة ظهرًا لم تأتِ الطّائرة، واعتذروا قائلين: إنّها ستتأخّر ساعتين لعطلٍ فيها، فما زالت بدبي، وما علينا إلّا أن نسلم الحقائب وننهي الأوراق، ونتّجه للصّالة، ونتناول وجبةً خفيفة لحين وصول الطائرة.

سمير أنْهى إجراءاته، وسبقني ينتظرني خلف الحاجز، وصلت للشباك، بَحْلق الضّابط الخاص بختم الجوازات كثيرًا، ثمّ قال: أوّل تأشيرة في جوازك لإيران؟ قلت له: آه، ليه؟ فقال: لا مفيش، يا حسين.. (وجاء رجل مسنّ، لكنّه عريض) مع البيه للدّاخلية. دخلنا إلى مكتب الداخلية فإذا بعميد

يجلس إلى المكتب.. خير. بَحْلق في الجواز، وقال: انت رايح إيران ليه؟ قلت له: آدي صورة من الدّعوة عربي وفارسي، رايح شاعر للمشاركة في مؤتمر القدس. قال: بسّ الوظيفة في الجواز سكرتير نقابة مش شاعر! فقلت: هل مرّ عليك فاروق جويدة؟ قال: نعم. قلت: من هو؟! قال في تعجّب: الشاعر الكبير. قلت: عظيم، وظيفته في الجواز إيه؟ قال: صحفي. فقلت: ما تقول لنفسك.

وهنا، استشاط غضبًا، وقال: يا حسين، مع البيه لأمن الدّولة. واصطحبني حسين إلى دهاليز المطار، وأنا أحاول أن أرى سمير فرّاج، وكأنّه لم يأت معي.. (هههههه).

دخلت إلى مكتب أمن الدولة، ولم أمنح الرجل فرصة، وقلت مباشرة: سلام، أنا فلان، ومسافر لكذا وكذا، وآدي الدعوة، وهناك وفدٌ مصري رفيع المستوى برّه، واللّي قاعد أمامك نائب رئيس السّنغال، ومسافر برضك، وانا مكلّم زمايلك في أمن الدّولة فلان بيه وعلّان بيه عشان أسافر واللّا لأ.. فقالوا كلّه تمام. ابتسم الرجل، وقال: على مهلك يا ناصر بيه، اتفضّل معايا. وذهبنا إلى الشبّاك وختَم الجواز بنفسه، وقال: بسلامة الله.

صعدتُ إلى كافيتريا الصّالة لأجد سمير مع حمدين صبّاحي وفهمي هويدي يحتسون الشّاي والجاتوه.. بعد ما عاتبت سمير شويّة، وتعرّفت على جمال الدرّة، أبو محمد الدرّة، ونائل أخوه، المسافرين على نفس الرحلة لنفس

الغرض، ولم ألتقط أنفاسي بعد؛ إذْ بالميكرفون ينادي (الشاعر ناصر صلاح، رجاء التوجّه إلى غرفة الأمن القومي بالدّور الأوّل)، وإذا بحسين طالع يدوّر علي، فقلت له: أهلًا يا حسين، وحشتني يا راجل، فينك من زمان، (هههههه).

في غرفة الأمن القومي، رجل ظريف جدًّا بدأ بالاعتذار وكوب ليمون وتصوير الجواز وإرساله عبر الإيميل إلى جهة ما، وقال: أنا آسف جدًّا، بسّ الوحيد اللّي عرفنا منه موضوع المؤتمر والوفد المسافر، فطحْت فيه: كيف تكون أمن قومي وماتعرفش إنّ سعد بيه الجمّال وفهمي هويدي برّه مسافرين كيف.. وكيف... وكيف الواد بتاع السّفارة المنسّق لم يمرّ بك، فقال: ابن الكلب، إدّيني رقمه، هاطلّع عين أمّه، هههههه، وقام وأوصلني إلى الصّالة قائلًا: نحن نثقُ في عقلك أكثر من الكتّاب والمفكّرين. فقلت له: الرّسالة وصلت، مُمكن أطلع الصالة؟ فقال: بسلامةِ الله. فقلت: مش هلاقي الأمن الغذائي بيطلبني بعد شويّة؟ فقال: لا؛ اطمئن. لكنّني لم أطمئنّ مطلقًا لأنّ ما حدث بعد ذلك كان حلمًا ما بين الرّوعة- الاندهاش الجميل- والرّوعة- الخوف المطلق- كما سنرى في الحلقات القادمة إن شاء الله.

(٤)

في الطائرة الأولى

جلست بين فهمي هويدي وحمدين وسمير فرّاج وجمال الدرّة ونائل الدرة وبعضِ رموز الفكر في مصر؛ أكمل احتساء الشّاي، ونتبادل الحديث، منتظرين الطائرة، ويمرّ الوقت، والطائرة مازالت في دبيّ معَطّلة.

يا جماعة، شوفولنا طائرة تانية، ما هي الطيارات على قفا مين يشيل في الموقف أهي. اهدى يا أستاذ الطائرة في الطريق، طبْ كلّموا السّواق يشهّل شوية أو ياخد طريق مش زحمة، استغلَسَ المسئول كلامي، ومصْمَص شفتيه وفرّ هاربًا.

نتمشّى بين المحلات بالمطار، نتّصل بأهالينا نطمئنهم أننا الحمدُ لله وصلنا لصالة المطار بالقاهرة والساعة الآن ١٠ مساءً، وهوبّا يعلنون وصول الطائرة فاستعدّوا، أيقظنا مَن نام، وأنَمْنا مَن كان يقظًا، وصعدنا إلى العروسة في الساعة١٢ مساءً، تصوّروا من ١٠ صباحًا إلى ١٢ مساءً.. لا.. لا تتصوّروا؛ فالقادمُ أعجب.

جلستُ إلى جوار حمدين صبّاحي في الطائرة نشاهد التّعليمات ونربط الحزام ونفكّ أعصابنا، ساعة من الترتيبات وإذا بحمدين يُخرج جريدةً ليقرأ مقالًا عن جمال مبارك أمل مصر لأحد المنافقين.

أنا شُفت صورة جمال، ورْكِبني ميت عفريت، وطلعت في حمدين: الله يخرب بيت جمال لبيت أبوه، هيّ ناقصة يا حمدين تجيب بوظ الإخْس ده معاك على الطيارة، عليّ النّعمة ما هي طالعة، وربّنا يستر ماتولعش بينا.

وكأنّ أبواب السّما كات مفتّحة، لم تمض دقائق إلّا والطيّار يعتذر بخَمَس لغات عن الرّحلة؛ فالطائرة بها عطل كبير ويخشى على حياة النّاس، ونظرتُ لحمدين قائلًا: عجبك كده، آدي احْنا بقينا في الشارع.

وهاجِت النّاس الصابرة لمدّة ١٥ ساعة.. إزّاي ده يحصل من شركة محْترمة كطيران الخليج، حرام عليكم مواعيدنا انْضربت، و....و.....و..... فقلت للناس: اسمعوني، الذّنب ذنب ده (وأشرت إلى حمدين)، وخرجت مسرعًا إلى الطّابق السّفلي للمطار؛ حيث مقرّ مكتب شركة طيران الخليج.

تحجّج المسئول بأنّ الفنادق كلّها مشغولة، ولم يستطعْ أن يوفّر مبيتًا إلّا للأجانب، وعلى المصريين والعرب التوجّه إلى أيّة فنادق، وفي الصّباح السّاعة ١٠ قبل استقلال الطائرة بعد إصلاحها سيحاسب كلّ فرْد على ما تكلّفه بالفندق الذي قضى ليلتَه فيه.

لم أحتملْ تلك السّفالة، فالسّاعة ٢ صباحًا، ونتحمّل تاكسي بـ ٥٠ج رايح و٥٠ج عودة في الصباح، وأيّ فندق بـ ٢٠٠ج على الأقلّ، ولو في البيت تبقى مشكلة العودة ٨ صباحًا عشان الطّائرة ١٠ صباحًا، يعني عكّ في عكّ، والنوم على رصيف المطار أفضل، طبِ الرّاجل المريض جمال الدرّة اللّي هيعمل ٢٤ عملية، وعمل زيّهم من ساعة استشهاد ابنه هيْبات فين؟!

وبدأت أنا وسمير نمارس الضّغط، أخرجت بلوك نوت مؤتمر أدباء مصر مكتوب عليه وزارة الثقافة، وبدأت أمام المسئول في المطار أكتب: السيد رئيس الجمهورية، السيد رئيس الوزراء، السيد وزير الاتصالات والمواصلات، السيد وزير الطّيران المدني، السيد رئيس مجلس الشعب، السيد وزير الداخلية، السيد رئيس طيران الخليج؛ عاجل جدًّا، وبدأ سمير من المحمول يتّصل بالصحف، وجري الراجل: خلاص يا أساتذة العربية جتْ تاخدكم، إحْنا حجزنالكم جناح بالعافية في الإنتركونتيننتال.

(٥)

في الإنتركونتيننتال

نجحتْ تهديداتي وتمثيليات سمير؛ فتَمّ الحجز لنا مع نائل الدرّة وجمال في فندق الإنتركونتيننتال، وجاءوا بسيّارة "فولف" لتوصيلنا، ولأوّل مرّة أشاهد الفنادق الكبيرة من الداخل، فقط شاهدت فندق٢ نجمة في الأقصر بمؤتمر أدباء مصر عام ٢٠٠٤، وكان منزلي الضيق أفضلَ منه ألفَ مرّة، بَهرني الجَمال وأدهشني النظام وسَحَرني المكان، وسرحتُ بعيدًا مع مزاحمة النوم، فالسّاعة ٢ فجرًا، وفجأة انْتبه على صوت أحد العمّال: إحْنا آسفين يا بهوات، العشا خلص من زمان، لكن نظرًا للظّروف هنعمل حاجة سخنة سريعة خلال دقائق، اتفضّلوا في قاعة الطعام على ما نجهّز الحاجة.

لأوّل مرّة، أشعر بالجوع فلم أنتظر السّخن، وجدت مئات الأنواع من الجبن والفاكهة والحلويات واللانشون و.. و.. وتسألت: أمّال العشا كان إيه لمّا خلص؟ وشرعت في الطعام كالمفجوع، والرّفاق ينبّهونني كلّ حين: لسّه فيه سُخن جاي، وأردّ: أبدًا، أنا جعان والسّخن هيطلع شاي واللّا فول. انتهيت من الطعام وهُم يبحلقون فيّ، وفجأة يأتي السّخن... يا ولاد الكلب، مش كنتوا تقولوا كده، أنا ملّيتها خلاص... تأتي أطباق من الكباب والشيش طاووق، وأقسمت بالله ما انا عاتقها لو هاموت.

قمتُ مِن على المائدة بمساعدة الرّفاق وصعدنا إلى غرفنا، أحاول فتح الغرفة بالكارت اللّيزري، وأفشل، إلى أنْ مرّ بي أحد الرّواد فاستعنت به، الله.. الله.. ده جناح من غرفتين وحمّامين، استخدمتهما معًا قبل النوم وبعد الاستيقاظ؛ بالعِنْد في بتوع طيران الخليج، في الصباح تناولنا الإفطار، وطبعًا حاجة تانية خالص اتّضح للواحد إنّه لم يفطر قطّ في حياته، اتّصلت عبر هاتف الغرفة بالرّفاق الثلاث سمير وجمال ونائل، وتقابلنا أمام الفندق في انتظار السيّارة الفولف التي ستقلّنا إلى المطار لنلحق بالطائرة في العاشرة صباحًا كما أخبرونا، ولكنْ طال الانتظار فاستوقفنا تاكسي، وفي أثناء الطريق قال سمير: عارف يا ناصر، أجْمل حاجة في إيران الفسْتُق زيّ ما بتلاقي في مصر كلّ كام متر زير ميّه هتلاقي في إيران كلّ كام متر شِوال فُستق- يا ريت تخلّيكوا فاكرين الكلمة دي عشان هنحتاج لها- وصلنا المطار وبدأنا رحلة الأمس، وقصة الأمس تأتي من جديد، مرّ سمير بسلام، واسْتوقفني ضابط الجوازات وسأل نفس السّؤال: ليه إيران؟ فقلت له: أمامك أختام أمس، أنا عدّيت امبارح والطائرة اتْعطّلت واليوم السفر، فنظر بعينه لليمين وكاد يتحدّث فقلت له: لا، خلّي عنّك يا حسين.. يا حسين تعالى يا راجل، وحشتني. ودخلنا إلى الدخلية، كان هناك عميدٌ آخر غير الذي شاكستُه أمس، وبمجرد أن نظر إلى البسبور قال: آسفين لحضرتك اتفضّل على الطيارة. يا فرج الله، فيه حدّ بيفهم أهوه، الطائرة نصفها خاوي لأنّ معظم الرحلة تشاءمت مِن هذه الطائرة، وخافوا على أرواحهم، وهذا كان

ذات فائدة عظيمة؛ فقد بدّلت مكاني أكثر من مرّة، وجلست بجوار الشباك لأشاهد شوارع السّماء وسيارات السّحاب، وعلى بُعْد خطوط رفيعة جدًّا كانت عبارة عن البحار والمحيطات، كانت الطائرة متّجهة إلى البحرين؛ فقد غيّرت نظامها بدلًا من دبي، وسوف نستقلّ طائرة أخرى من البحرين إلى دبي، ثمّ من دبي إلى إيران، وطبعًا ترانزيت مش أقلّ من ٦ ساعات بين الطائرة والأخرى، وجاءت حورية أجنبية بالطّعام والشراب في الطائرة.

(٦)

في مطار البحرين

جاءت المُضيفة بوجبةٍ سريعة، ولم أنْتبه فقد كنت سارحًا بين السّحاب، لكنّني أفقتُ على لمسةٍ حانية من يديها ليدي (مستر بليز يور لانش) نظرتُ إليها، وسرحت أيضًا؛ فهذا النّوع لأوّل مرّة أراه هههههه، أومأت برأسي شاكرًا وطالبًا كوبًا من الشاي، وجاءني سمير هامسًا: إيه.. رُحت فين؟ أومأت برأسي ثانية، وبدأت أتناول الطعام الخفيف والدّسم في نفس الوقت، ثمّ جاءني سمير منها ببعض الفُستق قائلًا قولتَه الشّهيرة: (إنت عارف زيّ ما كلّ كام متر بيقابلك زير ميّه في مصر هيقابلك في إيران كلّ كام متر شِوال فستق).

أعلن الطيارُ أنّنا سوف نهبط إلى مطار البحرين، وعلينا ربْط الحزام، لم أستمع للتّعليمات وغفوتُ، وإذا بالحوريّة مرّة أخرى تربط الحزام لي، وتقترب منّي، وفجأة أستيقظ على هبْدَة الطائرة بأرض المطار، ولا أجدُ حورية ولا حزامًا، لكنّه حلمٌ على الطاير مادمتُ في الطائرة.

وصلنا مطار البحرين الذي برغم صغره لكنّه مرتّب ترتيبًا رائعًا، وتشعر براحةٍ نفسيّة عجيبة به، وتعامل الناس معك في قمّة الذّوق والأخلاق، استأذن الثلاثي (سمير وجمال الدرّة ونائل) في دخول الحمّام، وتركوني أمام

مكتب طيران الخليج أنْهي إجراءات الطّائرة الثالثة التي ستقلّنا إلى دبي بعد ٧ ساعات، في حين خرج باقي الوفد المصري مع سفير مصر بالبحرين لاتّجاه خارج المطار، ولم يوجّه لنا أيّة نظرة أو إشارة.

أنتَ مصري؟ أنا بحبّ المصريين ومصر كتير جدًّا.. كانت كلمات البِنت البحرانيّة الشقيّة في مكتب الطيران ومع التواصل والتّناغم وزميلاتها وزميلها؛ استطعت الحصول على وجبات ترانزيت في أفخم مطْعم بالمطار، وليس بمطعم التّرانزيت؛ بل وحصلت على تذاكر السّفر من دبي إلى طهران في الطائرة الرّابعة، يعني مش هاقف على شبابيك في دبيّ غير للمراجعة.

خرج الثلاثي المَرِح من الحمّام، وسلّمتهم الأوراق ودخلت آخد دوري، وبصراحة ماكنتش عاوز أخرجْ منّه وعرفت سبب تأخّر الولاد فيه.. لا، ده النّضافة والنّظام والراحة أكيد ناموا فيه لمّا دخلوا، خاصّة أنّ قاعدة الحمام لها مَسْندين.

توجّهنا إلى الصّالة الرئيسية نشاهد الهواتف المحمولة وبعض المعروضات من روائح ومكسّرات وغيرها في جوّ مُريح للنفس جدًّا، ثمّ توجّهنا إلى المطعم، وكان الخدم من الهند فخَشينا من طعامهم، ولكنّ خبرة سمير فرّاج في السفر أفادتنا فتعاملنا بودّ، واتّضح أنّهم مسلمون، ومِن كَرَمهم زادوا الصّاع صاعَيْن، وهذا مفيدٌ لمثلي، (هههه).

تناولتُ الحديثَ مع الدرّة حول أحداث استشهاد محمد، وما أصابه من رصاص مازال يصعُبُ استخراجُ بعضه إلى الآن وأنّه أجرى عدّة جراحات وتبقّى مثلُها، وقضينا السبع ساعات ما بين التّليفونات للاطمئنان على الأهل في مصر، وما بين المَمْشى في الصّالة، إلى أنْ جاء موعد الطائرة الرابعة التي ستقلّنا إلى مطار دبي الرّائع، رغم ما صنعوه معي هناك من مشاكلَ جعلتني أتذكّر الواد ابن الكلب أحمد ابني.. لمّا قال لي يوم السّفر الصّبح وانا باسلّم عليهم: (إنت هتركب طيّايه يا بابا يا بختك)، الواد ده حاسود من صُغره .

(٧)

في مطار دبي

سبعُ ساعات ترانزيت من الثالثة والنّصف عصرًا إلى التّاسعة والنصف مساءً، ركبنا طائرة دبي وكانت مُزْدحمة جدًّا بالطّبع؛ فليست برحلتنا، فنحن ألحقنا عليها بعد عُطلة الأمس، وعند بداية إقْلاعها جلست المضيفات وربطْنَ الأحزمة، وجاءت جلسة إحداهنّ وهي هولندية شقراء في أقْصى يميني؛ فقد كنت في منتصف الدّرجة، وجلستِ المُضيفة أمام رجلٍ عربي بالجلباب والعقال، وكان كرسيّها أعْلى من باقي الكراسي، وبالطبع كانت ساقاها مكشوفتين، وظلّ صاحبنا العربي ينظر إليها طوالَ عشر دقائق، ويرمي بمنديله أمامه، وينحني لالتقاطه أكثرَ من مرّة، وأنا أراقب الموقفَ وأضحك، وبعدَها وأنا أتوجّه للحمّام همستُ في أذنيه: ارحمْ نظرك أنتَ رجل كبير. ولمْ أمْهِله ردًّا، دلفتُ إلى الحمّام وليتني ما دخلت؛ لم أعرف كيف أتعامل مع الأشياء بداخله حتى كدتُ أنادي أحدًا لمساعدتي، (هههههه) المهمّ.. ربّنا ستر وتمكّنت أخيرًا ولم أنتبه أنّني قضيتُ به ربع ساعة حتى عند خروجي منه، وجدت طابورًا في انتظار الدور، وعند عوْدتي لمقعدي أمسك الرجلُ العربي بيدي قائلًا بغضب (إش بيك)، فقلتُ مبتسمًا: إسهال شديد، (هههه)، وتركته إلى مقعدي.

لحظاتٌ وجاءت الشّقراء بالطعام، سألتْ: ماذا تريد؛ لحمًا أم سمكًا؟ فقلتُ: لا أريد سوى شراب. فقالت: برتقال أمْ عنب أمْ مانجو؟ فسألتها: مِن أين؟ قالت: هولندا. فقلت: وكيف تتكلّمين العربية؟ قالت: أخذت دروسًا بها. فقلت: أشرب عينيك، فابتسمتْ وقالت: أنت شاعر. فقلت: الله أكبر، باين عليّا أهوه. وتركتُ لي شرابًا من المانجو، ورحتُ في ملكوت الحكاية من أوّلها، وكيف ضاع يومان من الرّحلة بين الطائرات.

وصلْنا دبي، ووقف الوفد الرسمي المصري بمَن أتى عن طريق دمشق طوابيرَ لاستلام التّذاكر إلى طهران، في حين أنْهيتُ مراجعة التذاكر الخاصّة بنا في لحظات، وقلتُ للوفد المصري: خلّوا سفير البحرين ينْفَعكوا، (هههههه).

أخذتُ وفدي الخاصّ للتنزّه بمطار دبي الرائع، وعند نزولي من سلّم الصالة للمطار كان لا بدّ من المرور على مكتب الأمن الموجود مع كلّ سلّم، نظر الرجلُ إلى الجواز وقال: (ليش بتروح إيران؟) فقلت: (ليش بتسأل؟) قال: جاوب؛ أنا أحقّق. وهنا لم أشعر بما أصنع، قلت له: (اتّصل بزمايلك في مطار مصر يقولولك، الجواز معاك والتّذاكر) وهرولتُ على السلّم إلى داخل صالات العرض، وهو يهرْول خلفي، ولم يلحق بي، وسمير ينادي عليّ: تعالَ بسّ يا ناصر.

الله الله الله ممْشى بالكهرباء بطول المطار، وكلّ نصف كيلو غرفة كمبيوتر مجّاني لاستخدام الإيميلات، أو الاطّلاع، وطبعًا مُزدحمة جدًّا، دخلت

إحداها بعد مغادرة أحدهم للجهاز فوجدته كان يشاهد موقعًا إباحيًّا فتعجّبت وتلفّت وجدت بعض الحضور يرْقُبني، فقلت لهم: للأسف مش أنا؛ ده واحد كان هنا ونسي ياخده معاه.

قضيتُ خَمْسَ ساعات بالمطار دون أيّ واجب ضيافة، لكنّي مشدوهٌ من الرّوعة والعرض والأسعار الغالية، الساعة الآن الثّالثة والنّصف فجرًا، وها هُم ينادون على الطائرة، توجّهت إلى السلّم لأجد الرجلَ الأمنيّ في انتظاري بالجواز والتذاكر قائلًا: (لولا زميلك قال لي إنّك مريض وبتْتعالج، وقال إنّك بتقرب لمبارك؛ كان مُمكن أحجزك هون، ما تروح ولا بتيجي.. يالله بالسّلامة، الله لا يجيبك هون تاني) ولم أعلّق إلّا ببحلقة وتطليع لساني، ففَرّ الرّجل خشية مرضي وركبت الطائرة الرّابعة إلى طهران.

(٨)

في مطار طهران

الله.. نسائمُ الفَجْر في السماء مختلفةٌ تمامًا عن الأرض، رغم أنّ الليل مازال يفرض كلمته فالسّاعة الثالثة والنصف، والطّائرة- هذه المرّة- طراز آخر أشبَهُ بمترو أنفاق شبرا، (هههههه)، والمضيفات أنواعٌ أخرى تشبه الطائرة.

أخرجت كتيّبًا عن إيران، به أهمّ معالمها وأنا أحتسي (الأورانج) وأستمعُ لتعليمات الطيّار بأنّه غير مسموح بالخمور في مطار طهران، و...و... وأشاهد التّلفاز أمامي لبعض القنوات والأخبار، ولم أجدْ عليه قناةً مصرية واحدة، لست أدري لماذا؟!!

وصلْنا مطار طهران، وهو أشبهُ بالمطارات الحربية رغم اتّساعه الشّاسع، وكان في استقبالنا وزير التعليم الإيراني ورئيس مجلس الشورى ومجموعة من الغزلان الإيرانية، وأنا عاشق للعيون الإيرانية عشقًا جمًّا، كلّهنّ في طول واحد وعرض واحد والرداء واحد البنطلون والجاكت الأسود الطويل والإيشارب الأسود أيضًا، وتذكّرت قول الشاعر: (قلْ للمليحة في الخمار الأسود.. ماذا فعلتِ بناسكٍ متعبّد؟).

دخلنا إلى صالة كبار الزّوار، وقدّموا لنا الحلوى والفستق والشّاي، وتذكرت قولة سمير فرّاج (عارف أجمل حاجة في إيران الفُستق، زي ما بتلاقي كلّ كام متر زير ميّه في مصر هتلاقي في إيران كلّ كام متر شِوال

فستق) نظرتُ لسمير قائلًا: والله باينْ هتطْلع صادق في موضوع الفُستق يا سمير.. لكن أجمل حاجة في إيران نِسوانها.. (هههههه).

استأذنتُ من الوفد لحظات، وسألت عن الحمّام؛ توضّأت وسألت عن اتّجاه القبلة، وأخرجت سجادة الصّلاة المطوية من جيبي، وصلّيت الفَجْر، وبالمرّة أعدت ٩ صلوات خلال يومين قمتُ بها في الطائرات والمطارات تحسّبًا لعدم قبولها في وقتها- ماحدّش ضامن-. دخل خلفي للصّلاة اللواء صلاح سويلم- رحمه الله- وكلّما أنهيت ودخلتُ صلاةً جديدة دخل معي، ثمّ قال بعد أنِ انتهيت: إنتَ كنت بتصلّي إيه يا ناصر؟ فقلت مبتسمًا: لا.. دي تراويح كانت عليّا من رمضان اللّي فات يا سيادة اللّواء، (هههههه).

تمّت إجراءاتُ الخروج دون أن نشعر بها، ومِن حولنا الحورُ العين تأتينَ بزمزم كولا وحلويات وغيرها من لوازم الضّيافة، وكنت في حاجةٍ ماسّة لكوبٍ من الشّاي، طلب الجميع الشّاي وتبادلنا الحوارَ مع مُضيفنا حول الرّحلة الشّاقة والتّرحيب بنا، والتّمني بمؤتمر قوي... إلخ.

السّاعة الآن السّادسة والنصف، وبدأنا التّحرك مع كلّ ضيفٍ بنّوتة مُحْتشمة وجميلة تصحبُه إلى ساحة انتظار السّيارات التي ستصحبنا إلى الفندق، وخلال الطريق إليها تبادلتُ الحديثَ مع الفتاة التي تصْحبني؛ فقد رحّبت بي وتحدّثت عن إعجابها بالنّيل والهرم والإسكندرية، وأنّها تتمنّى زيارة مصر، وطبعًا كلّه بالإنجليزي، يمكن كلمات بسيطة جدًّا بالعربي، بادلتها الإعجاب

بطهران وما تصبو إليه من قوة الآن تُخيف إسرائيل، وقلت لها: لو رجعت مصر سالمًا؛ ربّما أدعوك لزيارتها.

السّيارة التي في انتظاري تقفُ بين طابور كبير من نفس النّوع، فلكلّ عضوٍ بالوفد سيّارة خاصة، وسائق خاصّ ومُصاحب كالحرس.

قالت الفتاة: هذه سيارتُك ستصلُك إلى أجمل فنادقنا (أزادي) وهنا تدخّل سمير وجمال الدرّة وأخوه قائلين: عاوزين نبقى مع بعض في فندق واحد، كانوا سيذهبون إلى أكبر الفنادق مساحة، وهو (الاسْتقلال)، ولم تكنْ هناك ممانعة، وإن كان سمير هفتْ روحُه أن يبقى بالمطار وسطَ الحِسان فلا يعلم ما سيجدُ هناك.

الطريقُ طويل من المطار إلى طهران أنجزناه على سرعة ١٣٠ ك في ساعتين، يعنى حوالي ٢٦٠ ك، وكأنّ السيارة طائرة خامسة؛ بل لم أشعرْ بسرعة الطائرة كما شعرت بالسّيارة والطريقُ خالٍ من السيّارات؛ فقد كنّا في الصباح الباكر يوم الجمعة، وصلنا إلى الفندق في الثامنة والنصف لنبدأ رحلة أخرى من السّعادة والشقاء والراحة والعناء.

(٩)

في فندق أزادي بطهران

لكُم أنْ تتصوّروا- بعد رحلة العناء هذه- كم أحتاج إلى الرّاحة، أربعُ طائرات و١٥ ساعة ترانزيت، غير اليوم الضائع في القاهرة، بخلاف قلّة الأدب من الأمن في مطاري القاهرة ودبي، و...و.....و....، كنت في أشدّ الحاجة إلى أن ألقي بنفسي على الفراش، الاستقبال حارّ بمودّة وأريحية والاصْطحاب إلى الغرف، كلّ فرْدٍ في غرفةٍ مستقلّة، ولن أصفَ الغرفة لكم فأنا مُتْعب أودّ النّوم أولًا.

ألقيتُ بنفسي وبملابسي التي معي على السرير، ونمتُ نومًا لم أنَمْه في حياتي؛ فالطائرات تدور بي، وأشعر أنّني كلّ لحظةٍ سأقع من فوق السّرير العريض، فأقوم وأنا نائم أنتقلُ إلى السّرير الآخر بنفْس الدّوار، أتخلّص من ملابسي، ومفيش فايدة، لا أستطيع النوم.. وملء جفوني إغماءٌ أودّ لو دفنت في القبْر لأستريح، وظللتُ على تلك الحالة إلى أنْ دخلت الحمّام واسْتَرخيت في البانيو (يا فرحة امّك ليك يا ناصر، بانيو في مصر، وبانيو هنا، هاتخشّ الحمّام بتاعكوا ازّاي بعد كده!!) أحدّث نفسي، أخرج إلى الغرفة، أشدّ السّتائر، منظرٌ جميل لم أنتبه إليه إلّا ثوانٍ، أفتح درجَ الدولاب، أجدُ مصلّية ومصحفًا مضافًا إليه ترجمة، أتفقّد الغرفة بعينيّ أجدُ سهمًا في السّقف يشير إلى القبلة، آخذ في إعادة الصّلوات كلّها، بما فيها مطار طهران، أفتح المصحف

وأراجعه بالمصحف الخاصّ بي، والذي لا يفارقني، لا أجد اختلافًا، ومع ذلك فضّلت القراءة من مصْحفي، أفتح التلفاز على قناةٍ إخبارية، وأجد فيها صورًا لاستقبالنا، وقناة فنيّة لكنْ مسلسلات دينية فقط، أبحث عن أيّ شيء عن مصر.. لا أجد. لا.. لا.. استنّى صورة الحمار أهوه في الأخبار، يا ترى بيقولوا عليه إيه؛ فالكلام فارسي في ترجمة إنجليزية، اسْتشفّيت منها إنّه يتحدّث عن إيران بصورة غير لائقة، أغلق التّلفاز، أرتدي ملابس جديدة وأتّجه ناحية بهْو الفندق عبْر الأسانسير؛ فقد كنتُ في الدور الـ ١٢، وفوْقي ٨ أدوار أخرى.

السّاعة العاشرة.. لا أحد.. كيف يأتيهم النوم؟! ولماذا أنا المُسْتيقظ القلق، قاطع حبْل أسئلتى: أهلًا بك الشاعر ناصر صلاح، يااااه أنا مشهور بقى. أهلًا بك.. مَن أنت؟ أنا جهاد، أتحدّث العربية، وأنا موكّل بخدمة الشّعراء هنا من الرئاسة.. أهلًا بك.. نأسف الفطار انتهى وقتُه، فهل تأمرُ بشيء.. شاي مثلًا.. قلت له: نعم شاي، مسألة الفطار سيبَك منها، أنا واكل لـ ٣ أيام قدّام. ابتسم وترَكني أتأمّل بهْو الفندق وطوابقَه من أسفل إلى أعلى.

لحظاتٌ، وجاء بمنضدةٍ متحرّكة عليها برّاد شاي وبرّاد لبن وزجاجة زمزم كولا وطبق به عشرة أنواع من الحلوى من القطع الصّغيرة. سألته: الغدا موعدُه إمتى؟ فقال: بعد صلاةِ الجمْعة إنْ شاء الله، فاحترسْت هذه المرّة لم ألْتهم الحلْوى كلّها، فقط استكفيت بستّ قطع (هههههه) لأتذوّقها ولأتْرك مكانًا للغداء، أكيد فاخر.

قرأتُ بعضَ الصّحف العربية، ونزل جمال الدرة ونائل وسمير وغيرهم، وبدأت الصّالة في الضجيج، واسْتلموا منّا الجوازات، واتّجهنا إلى صالةٍ كبيرة بجانب الفندق خصّصوها لصلاة الجمعة، ثمّ عدنا إلى مكان الغداء أو أماكن الغداء، وجدتُ بوفيهًا مفتوحًا.. واخْدِم نفسك بنفسك، ورأيت د/ رفعت سيد أحمد ومعه اللواء صلاح سويلم يحملان طبقيْن متشابهين أرز إيراني بالمكسّرات ولحمَ غزال مشوي وفراخ رومي مقطّعة.

أخذتُ أبحثُ عن اللّحوم، ولا أجدها فسألت رفعت، فقال: تحت الرّز يا ناصر غوّط بالمعلقة والخيرات هتطلع. وبالفعل، جلستُ بجانبهما عرّفاني على بعض الشخصيات العربية المشاركة، أبحثُ عن الماء لا أجد إلّا زمزم كولا.. إيه الحكاية فقال صلاح سويلم- رحمه الله-: المياه هنا بالطّلب، زمزم كولا مشروب أساسي. انتهينا وبدأنا الاسْتعداد للذهاب إلى مجلس الشّورى الإيراني لافتتاح المؤتمر لنبدأ مرحلة جديدة من المفاجأت.

(١٠)

مجلس الشّورى الإيراني

وبعد الانْتهاء من الغداء، صعدنا إلى غرفنا لنستعدّ لافتتاح المؤتمر، استيقظتُ على جرس الهاتف بالغرفة يتعجّلونني فقد نمتُ دون أن أشعر، ويبدو أنّ لحم الغزال كان له تأثيرٌ.

كانت هذه المرّة أتوبيسات صغيرةٌ تنتظر المشاركين، رغبتُ في ترك الرّفاق والجلوس بسيارة أخرى لأتعرّف على أصدقاءَ جُدد، للأسف عدد من الآيديهات الخاصّة بالمشاركين والتي يجب أن تُعلّق في رقابهم عند دخول القاعة لم تأتِ لضياع جوازات السّفر- بَدأنا الفوضى المصرية- جلس بجانبي رجلٌ في الخمسين من عمره، وبدأ الحديث: أهلًا بضيفنا العزيز، من مصر.. أليس كذلك؟ قلت له: بلى. وكيف حال مصر؟ وأهلها؟ وكيف حال مبارك ورجاله؟ وما رأيك في مبارك وقيادته؟ وهنا أشرتُ له بيدي ليتوقّف وقلت له: أهلًا بك، من إيران أنت؟ قال: نعم. فقلت: وكيف حال إيران وأهلها ونجاد وخامينى وأتباعهم والسنّة وما يُحاك لهم؟ أنت من الخارجية الإيرانية، أليس كذلك؟ فقام من جانبي بهدوء شديد ولم يلفظْ بحرف.

يبدو أنّنا بدأنا وتذكّرت مقولة الرّاجل بتاع الأمن القومي في المطار (نحن نثقُ في عقلك أكتر من الكتّاب والمفكّرين) فاللّهم ثبّت عقلي وقوّيني، تحرّكت السيارات نحو مقرّ المؤتمر.. الشّوارع نظيفة.. الجبال على اليسار، والأشجار

على اليمين، الإشارات تُحتَرم وسريعة، النّاس يحيونك من خلال الشّباك سواء السّائر على قدميه أو مَن في سيارته ويهتفون فلسطين.. فلسطين.. جوّ جميل أخذني من التفكير في الموقف الذي حدث.

وصلنا إلى مجلس الشّورى الإيراني موقع المؤتمر، تلاقيت بالوفد المصري أمام الباب، وتصافحنا، وعند الدخول أشارَ ضابط الأمن لي: مِن فضلك، الكاميرا غير مسموح بها اتْركها في الأمانات. فشلتْ كلّ المحاولات فذهبتُ لكشك مزْدَحم جدًّا الجميعُ يترك حقائبه وكاميراته وموبايلاته، وعندما عدتُ إلى الباب وجدت الوفدَ المصري قد دخل، ماذا أصنع؟ لم تمضِ لحظات، ووجدت مَن يحضنني: أهلًا أهلًا شاعرنا الكبير؛ فإذا به الأستاذ رمضان شلح رئيس الجهاد في فلسطين، وقد كان بالقاهرة منذ أيام والتقينا ودخلتُ معه إلى المجلس، ونحن نتحدّث، يعني دخلت مع وفد الجهاد الفلسطيني، الطريق من الباب إلى القاعة الكبرى للمؤتمر نحو الكيلو متر، والشّمس كانت ساطعة بحرقةٍ على غير عادتها. توقّفتُ أتأمّل المنظر الدّاخلي، وتمنّيت لو كانت معي الكاميرا لألتقطَ صورًا لبعض الزّهور الجميلة، استأذن شلح ليستمرّ مع الوفد للدخول للقاعة، ولم أنتبه للوقت إلّا والحرس ينادي الغنم القاصية لأنّ الافتتاح أوشك، اتّجهت نحو القاعة، لها أكثرُ من خمسة أبواب كبيرة على كلِّ بابٍ حرسٌ كثيف، وليست معي يافطتي، أنقذني الشّاعر عبد الرحيم الدّمشقي، وكان وزيرًا سابقًا، التقيت به صباحًا بالفندق، وتعارفنا، وتحدّثنا عن مصطفى حمام ومحمود غنيم والتّهامي، وكان ضمن وفدِ حزب

البعث السوري، فدخلت معهم القاعة، بحثتُ عن الوفد المصري، ووجدت مكانًا خلف د/ رفعت سيد أحمد، وعاتبته.. كيف يدخلون دوني؟ فأجاب أنّه تركَ سمير فرّاج على الباب من الدّاخل ينتظر عودتي، ولم أرَ "سمير" إلّا بجانبي في الصّف، كنّا قريبين جدًّا من المنصّة والصّالة دائرية متّسعة لخمسةِ آلاف مشجّع؛ آسف مُشارك.

(١١)

افْتتاح المؤتمر

صالةُ المؤتمر رائعة، نقوشٌ إسلامية، وتعلو تدريجيًّا كالمسرح لتصل إلى قبّة في أعلاها، الصفوف تصاعديّة والمساحة الخالية في الوسط تتعدّى الخمسمائة متر، والمنصّة على يساري على بُعد أمتار، وتتوسّط الجناح الغربي للقاعة، يجلس "محتشمي" رئيس مجلس الشورى، وعلي خامينيي المرشد الأعلى بجانبه.

فوجئت بشابّ في الثلاثين من عمره يجلس بجانبي قائلًا: أهلًا بشاعرنا المقاوم، لم أشهدْ هذا الوجه من قبل. قلت: أهلًا بك، مين حضرتك. قال: أنا مصطفى، من السفارة المصرية في إيران.. قلت: وإيران دي فين؟ ابتسم وقال: أنا سعيد بك، واللّي أعرفه عنْ حضرتك يسْعدني، وباعتذر عن أيّ مشكلة حصلتْ في المطار في مصر، وإن شاء الله سعادة السفير هيدعي الوفد المصري للعَشاء بعد غد، يا ريت أتشرّف بالجلوس معك وقت أطول، أنا بحبّ الشّعر جدًّا، وسلّم على باقي الوفد. واستأذن ليعود إلى المكان المخصّص بالسفارات في القاعة.

لم أعدْ أهتمّ بالمواقف لكثرتها وغرابتها.. سيبها لله- أحدّث نفسي- بدأت الجلسة بالقرآن الكريم، وأمام كلِّ فردٍ أجهزة ترْجمة، ضع السّماعة في أذنك وحوّل المؤشر ستجد ٢٠ لغة للترجمة، أوّلها العربية؛ فأَحاديث المتحدّثين

بالفارسية قلّما تأتي كلمة عربية أو إنجليزية مجاملة، فقد دعوا أربعة آلاف مُشارك من أنحاء العالم، وجميعهم بالصالة.

بعد التّرحيب من محتشمي، والحديث عن هدف المؤتمر والقضية والتّرابط الإسلامي؛ قِدم علي خامينيي، لم أنتبه إليه كثيرًا؛ فقد كانت عيني تتجوّل بالقاعة، وفجأة أجدُ "نجاد" الرّئيس الإيراني يفتح أحدَ الأبواب بنفسه، ويجلس على كرسيّ الحارس بجانب الباب، ولا حراسة ولا يحزنون، لم أصدّق عيني.. أهُوَ!! لا.. لا، لا.. هو. وبدأت أنبّه مَن حولي ليتأكّد من الأمر.. بالفعل هو.. كانت التّحية هناك للمتحدّث اللّهم صلّ على محمد وعلى آل محمد. انتهى خامينيي من كلمته وقدّم محتشمي الرئيس "نجاد"، وإذا بالنّاس تبحث عنه وإذا بالكاميرات تنقل على الشاشات قيامه مِن على كرسي الحرس بجوار الباب قاطعًا مساحة الخمسمائة مترًا وحده بين الجموع التي أخذت في تصْفيق حادّ، بدأ حديثه بالسّلام عليكم وآيات التّرابط والأقصى، وبدأ حديثًا مخالفًا لأسلوب خامينيي الديني، فهوَ سياسيّ وعالم؛ فتناول نهضة الأمّة بعلمها ليخشاها الغير، وتناول مشروع إيران مؤكّدًا أنّه لا يوجّه لمسلم ولا عربي وإنّما لليهود.. وكلام من هذا القبيل، ولاحظت كريزما عبد النّاصر وذكاء السّادات في هذا الرجل.. هذا هو الانطباع الأوّل، ألقى الرّجل بكلمته.. وخرج فانسحبت مسرعًا إلى خارج القاعة لألحق به، فوجدته يتحدّث للتلفاز أمام الكاميرات وفوْر أنِ انتهى- وقد لاحظ انْتظاري له- اتّجه ناحيتي ومدّ يده فصافحتُه قائلًا: ناصر صلاح من مصر. فأجاب

بالعربية الفصيحة: مرحبًا بك، وأتمنّى لك إقامة سعيدة. فرددتُ وجسْمي يرتجف- أوّل مرّة أصافح رئيسًا-: سعدتُ بلقائك والأهمّ بتصريحك حول أنّ المشروع الإيراني ليس إلّا لتهديد إسرائيل، ولذا أتمنّى أن يعمّ السّلام بينك وبين الخليج في مسألة الجزر. ابتسم قائلًا: إنْ شاء الله. ثمّ هجم عددٌ كبير من المشاركين لمصافحته حين كان يتّجه إلى خارج القاعة ليستقلّ سيارته.

يبدو أنّ الجلسة الأولى انتهت، فقد خرج الجميع إلى بوفيه مفتوح بسيط؛ مشروبات وحلويات، اصطحبتُ رفقائي إلى أحد الكراسي، وتناولنا الحديث والحلويات، وسألت سمير: فين الفُستق؟!! مش كنت بتقول في كلّ شارع شِوال! فردّ مسرعًا: واحْنا في الشّارع الآن؛ إحْنا في القاعة.. (هههه).

تركتُهم للتّجوال في أرْوقة المبنى اقترب منّي قائلًا: أهلًا بك، من مصر؟ قلت: نعم، أهلًا بك. قال: حاجّ علي من المغرب.. تشرّفنا.. كيف حال مصر؟ وأهلها؟ وهل مبارك بالفعل متعاون مع اليهود؟ فقلت له: أنت إيراني من الخارجية ولست مغربيًّا، وأمّا مبارك فلو كان أسوأ مَن بالدنيا هو رئيس مصر، أتدري مَن هي مصر؟ فقال: لغويًّا الأصح أن تقول ما هي مصر؛ فهى غير عاقل. فقلت: العاقلُ الوحيد في الكون هي مصر، بل أسأل عنْك وعن بلدك بـها، أمّا مصر.. ولم أكمل بعدما احتددتُ عليه وارتفعَ صوتي وانْتبه مَن حولي، فاعتذر قائلًا: يبدو أنّني لم أفلح في توضيح وجهة نظري.. لا عليك مرحبًا بك. وفرّ من أمامي، وإذا بوزير التعليم الذي قابلنا في المطار يتّجه نحْوي مهدّئًا من انفعالي قائلًا: خير أستاذ ناصر، ماذا حدث؟

فقلت: أرجوك سيادة الوزير، ابعدوا رجالكم عنّي وعن أيّ مرافق مصري لي. أعطاني كوبًا من الشّاي، وابتسم قائلًا: ربّما أسأت الظّن، وما هي إلّا محاولات فرديّة للتعرّف عليك، نحن نعشقُ مصر وأهلها، ثمّ استأذن حين استدعوه للقاء تلفزيوني قائلًا: استعدّ؛ فدَوْرك بعدي. صادفت خالد مشعل وسلّمت عليه، وبعد لحظات تعاركتُ معه.. لماذا؟!

هذا ما سوفَ نعرفه.

(١٢)

أنا وخالد مشعل

دائمًا ما كنت أقول على مشعل إنّه قائد ميداني أشبه بخالد بن الوليد- رضي الله عنه-، فهو قلّما يبتسم، وكلماتُه جادّة وحادّة قاطعة، تصنع زوابعَ من القلاقل، بينما هنيّة قائدٌ روحاني، يعشق الناس طلّتَه، ويرغبون ألفتَه ولا يملّون جلسته، يعرف كيف يطبّب الجروح ويهدّئ النّفوس، قلت هذا الرّأي لمشير المصري المتحدّث الرسمي لحماس حينما كان بالقاهرة ذات مؤتمر، وقد أكّد وجهة نظري.

المهمّ حتى لا نخرج من إيران ومن قاعة المؤتمرات، ها هو مشعل قريبُ الشّبه بخيْرت الشاطر (ما كلهم إخوان.. هههههه) يسير في الطرقات وحوله مجموعة من وفد حماس ووفْد فَتْح، اقتربتُ منه وسلّمت عليه وعرّفته بنفسي، وجاء الأستاذ رمضان شلح في لحظتها ليكمل التّعارف: دا ناصر صلاح رئيس ملتقى أدب المقاومة في مصر، والأسبوع الماضي سلّمت مجموعة من إصدارات الملتقى في مكتب حماس بغزة، أهديتهما نسخةً من آخر دواويني، ولم أهْدِ فَتْح لأنّ الديوان كان يحمل قصيدتيْن قدحًا في عرفات رحمه الله، وخشيتُ أن أصنع مشكلةً في المؤتمر، وخاصّة أنّ الفتحاويّين ألسنتُهم طويلة بعضَ الشيء، وإنْ كانت المشكلة جايّه جايّه وأكبر ممّا خشيته.

جاء التّلفاز يصوّر مع خالد مشعل، فوقفنا جميعًا نستمع له، وأعجبني جدًّا ثباته وجدّيّته، وعدم التّهتة أو التراجع، إلى أنْ جاء ذكْر شهداء قادة فلسطين، وقال مِن ضمن حديثه: الشّهيد الشيخ يس- رحمه الله- والشهيد الرنتيسى- رحمه الله- والشهيد... والشهيد...، فقال أحد الفتحاويّين الواقفين والشهيد عرفات رحمه الله، فقال مشعل في غلظةٍ: مات مسمومًا.. وهنا بدأت ضجّة وهمهمات وأصوات الفتحاويّين علت، ومحاولة من شلح والحماسيّين لتهدئة الموقف، ووقفت أتأمّل قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (المؤمن كيّسٌ فطن)، وعندما انتهى الحديث مع مشعل استوقفتُه قائلًا: قل لي أخي الحبيب، هو المسْموم ليس شهيدًا؟ فنظر إليّ غاضبًا قائلًا: يا أخي، أنت لا تعرف ماذا صنعَ بنا عرفات وهؤلاء الجعاجعة. فقلتُ له: ردّ على سؤالي مسلم من أوائل المجاهدين في فلسطين مات مسمومًا أليسَ بشهيد؟! أنا في ديواني الذي بين يديك أنتقدُ عرفات نقدًا لاذعًا، لكنْ لا ألغي جهاده قطّ.. الإسلام وفطنته والدبلوماسية وقواعدها تحتّم عليك أن تقول، والشهيد عرفات رحمه الله.. أمّا مسألة جرائم فتح فأنا قلتُ لأخي محمود الزّهار في مصر، اطبعوا كتاب بالمستندات، وقولوا هذه هي الحقيقة، فلن تتحرّر فلسطين إلّا بتحرير أنفسنا.

وهنا، ناداني وزير التعليم لأجري حديثًا للإذاعة والتلفاز الإيراني، وكنتُ أعددت قصيدةً فصيحة صغيرة لإيران، للأسف لم أحتفظْ بها ولا أتذكّرها، وقفت أمام الكاميرا وسألني المحاور: أأنت مَن كتب (الله يا حزب

الله)؟ قلت: نعم، مِن أين عرفت؟ قال: إنّ قناة المنار تعرضُها كثيرًا بإلقائك في مؤتمر بالإسكندرية، وتعرضها بغناء، بسّ صوت المغني مش حلو لكن اللّحن عبقري (يقصد الفنان محمد عبد العال ملحّن المقاومة الذي غنّى ليلة التنحّي أوّل جنازة لمبارك في التحرير، وكانت من كلماتي، وبعدها بـ ٢٤ ساعة تنحّى المخلوع، هههههه.. أرزاق) فقلت له: نعم، هو يعترف بأنّ صوته ليس جميلًا، لكنّنا نعترف أنّه ملحّن ممتاز، شكرًا لك، وممّا قلته أنّ سعادتي كبيرة لزيارة إيران، ولن ننْسى دور الشّاه في مساندة مصر أثناء حرب أكتوبر مهْما كان رأيكم فيه وأتمنّى أن ترسل إيران قوافلَها للخليج للتفاهم معهم حول مشكلة الجُزر، وعلى إيران أن تطمئنّ العالم العربي أنّها مسالمة، ولا تبغي احتلالًا شيعيًّا مطلقًا لجيرانها لأنّ أمريكا وإسرائيل تستخدم فزّاعة الخوف من إيران مع الدول العربية، وأنا أقترح أنْ يقال للخليج الجُزرُ لكم ويتمّ توقيع عقدٍ على ألّا تدخلها قواعدُ أمريكية قط، وإلّا ضربت القواعد والدولة التي سمحت لها بذلك.. وقلتُ لو نجحت إيران في امتلاك سلاح رادعٍ سيتشيّع العالم الإسلامي كلّه قلبًا- أقصد محبّة واحترامًا لإيران- وألقيتُ قصيدتي واتّجهت إلى السيارة لنعود إلى الفندق بعد يومٍ عاصف، لكنّه رائع.

(١٣)

اللّهُ أكبر فوقَ كيْد المعتدي

وصلنا إلى الفندق بعد يوم شاقّ جدًّا، صعدت إلى الغرفة، غيّرت ملابسي، وارتديت جلبابًا ثقيلًا، فالجوّ باردٌ بعض الشيء، ووضعت الكوفيّة الفلسطينية التي أهداها لي مشير المصري في القاهرة ذاتَ مؤتمر، قائلًا: (هدية الشيخ يس لي أهديها لك) فابتسمت ساعتَها وقلت له: (بل هدية الشيخ يس لي أرسلها معك).

نزلتُ إلى ساحة الفندق، وتناولنا العشاء، وجلسنا نحتسي الشّاي في البهْو، وناديتُ جهاد المسئول عن مرافقتنا بالفندق، وقلتُ له: أرجوك، في الإذاعة الداخلية أذعْ بأنّ الشعراء بالفندق مدعوّون إلى فنجان شاي مع الشّاعر المصرى ناصر صلاح بجانب البيانو بالبهو، وأرجوك ترجمها بالإنجليزية حتى يشاركنا مسلمو الغرب الشعراء.

بالفعل.. وحضرَ ما يقرُب من ١٢ شاعر؛ ثلاثة أجانب و٩ عرب، وتناولنا حديثًا طويلًا عن الشّعر ومدارسه ومهامه وما يجبُ على الشاعر المسلم تجاه قضايا أمّته، وكيف كان الشاعر الجاهلي هدفه الأساسي هذه القضايا، ثمّ تطرقنا إلى محمد إقبال وشعره والشّعراء المصريّين، واستمعنا إلى قصائد من

الحضور، لم نتناول الحديث حولها حتى لا ينفرط عقد الجلسة ولكن كان بيني وبين الرّائع سمير فراج حديث بالأعين مع قصيدة كلّ شاعر لاحظه عبد الرّحيم الدمشقي وهمس في أذني: أنت ما مستحمل، صحّ؟ فقلت: لا، أنا متدرّب على كده.. اطمّن.

فعلًا، الشّعر في سوريا ومصر واليمن، وقلّما تجد علامة فارقة ومميّزة في بلد آخر- أقول لنفسي، وربما أخطأت- لكن في الحقيقة استمعتُ ليلتها إلى شاعرٍ استراليّ رائع يكتب باللّغتين العربية شعرًا موزونًا مقفّى، وبالإنجليزية مترجَمًا.

المهمّ، فجأة.. ونحن جلوس يأتي إلى مسامعي صوت بيانو يعزف رائعةَ عبد الله شمس الدين (الله أكبر فوق كيد المعتدي)، فأشرتُ إلى الضوضاء حولي بالصّمت والاستماع متسائلًا.... ألستُ على حقّ؟ قالوا: بلى هي، فنظرت حولي فإذا بعازف بيانو في البهو يعزف وينظر للكوفيّة الفلسطينية على كتفي، فابتسمتُ له وقلتُ للرفاق: سأطلبُ منه عزفها من البداية على أن نغنّي معه، ففرحوا بالفكرة جدًّا، واتّجهت إليه قائلًا: (بليز أجين)، فابتسمَ وبدأ في إعادتها، وإذا بالجميع- حتّى المخابرات والأمن حول الفندق- دخلوا إلى البهو، والعمّال والجميع يغنّي:

الله أكبـــر الله أكبـــــر الله أكبر فـــوق كيـــد المعتدي

والله للمظلـــوم خيـــرُ مـــؤيّد أنا باليقين وبالسلاح سأفتدي

بلدي ونورُ الحقّ يسطع في يدي..

قولوا معي.. قولوا معي

الله الله الله أكـــــبـــــر الله فـــــــوق المعتـــــدي

يا هـــذه الدنيا أطِلّي واسمعي جيش الأعادي جاءيبغي مصرعي

بالحـــقّ ســـوف أردّه وبمدفعي فإذا فنيتُ فســوف أفنيـه معي

قولوا معي قولوا معي

الله الله الله اكـــــبـــــر الله فـــــــوق المعتـــــدي

قـــولوا معي الويـــل للمستعمر والله فـــــوق الغـــادر المتكبر

الله أكبر يـــا بـــــلادي كبّري وخـــذي بناصية المغير ودمّري

قولوا معي قولوا معي

الله الله الله أكبـــــــــــر الله فـــــــــوق المعتـــدي

كانت لحظاتٍ اقْشعرت فيها الأبدان، وصفَتْ فيها الأرواح وانشرحتِ القلوب، ودمعت العيون، كانت لحظاتٍ من أجمل لحظات العمر، وكأنّنا في جهاد، سبحان الله! أي قبول هذا، وأيّ إخلاص يرفع الله به كلمات

عبد الله شمس الدين في مكان غير المكان وعلى ألسنة غير الألسنة، سبحان الله دعوتُ ساعتها اللهَ أن يجعل لي كلماتٍ مثل تلك يتقبّلها بقبولٍ حسن وتذكرُها ألسنةٌ غيرنا في أماكن غير أماكننا، وسبحانه كأنّ أبواب السماء مفتوحة ساعتها تستمع لتلك القلوب والحناجر، فبعْدَ الرّحلة بعامين تقريبًا أخبرني أخي د/ محمد المليجى- رحمه الله- أنّه عندما كان بالعمرة وقف أمام قبر الرسول ﷺ لا يعرف ماذا يقول والأفارقة يدفعونه، وإذا به يتمتمُ بأبيات قصيدتي (مكسوف ووشّي في الأرض منّك يا رسول الله) والأفارقة يردّدون خلفه قائلين: آمين.. ويبكون لبكائه، ظنّوا أنّه يدعو، وقت أنْ حكى لي تذكّرت دعوتي في الفندق ودمعتْ عيناي، اللّهم تقبّلنا وتقبّل أعمالنا وارْزقنا الإخلاص يا ربّ العالمين.

نعودُ للفندق.. انتهتِ اللحظة الجميلة، وذهبت إلى العازف أشكرُه وأعطيه (تيبس)، مبلغ بسيط، تعبيرًا عن امتناني له، فرفضَ شاكرًا، لكنّه قال لي: لو أردتَ مكافأتي أعطني تلك (وأشار إلى الكوفية الفلسطينية)، فأعطيتها له قائلًا: هذه هدية مِن الشّيخ يس لك أرسلها معي. وابتسمت وأنا أتذكّر كلمتي لمشير المصري.

توجّهت إلى الاستعلامات أحدّث والدتي وزوجتي عبر الهاتف لأطمئنّ عليهم، فلم أشبعْ من اتّصالي السريع من خدمة المؤتمر لازدحام الجمهور على الجهاز هناك، وصعدت للنّوم وأنا في منتهى السّعادة والرضا، ولذا لأوّل مرّة منذ الخروج من القاهرة أنام نومًا عميقًا مريحًا، فدعوني أنعمُ به ونُكْمل بعد.

(١٤)

الشّعرُ أصدق إنباءً من الهَجْس

استيقظتُ مرتاحًا خفيفًا سعيدًا، فقد كان نومًا على غير العادة، توضّأت وصلّيت وقرأتُ ورْدي، وفتحت التلفاز لأجد لقطاتٍ من الافتتاح أمس، ومِن ضمْنها جزء من الحوارات التي دارت مع المشاركين عبْر التّلفاز، ومعي، وبالفعل عرضوا ما قلتُه عن السّلام مع الخليج وطمأنة العرب والمسلمين أنّ إيران حليف وليس عدوًّا، وبالطبع ركّزوا على قولي إنّ أمريكا والغرب تستخدم إيران فزّاعة للسيطرة على العرب، وعرضوا القصيدةَ التي ألقيتها، وأظنّ أنّ أحد الإيرانيّين في الفندق قال إنّه سمع قصيدتي بالإذاعة الإيرانية.

اتّجهت للبَهو أقابل الزملاء والرّفقاء، تناولنا إفطارًا شهيًّا أغلبُه أنواعٌ من الجبن والزبادي واللنشون وتركيبة من السّلطات عجيبة، غير العصائر والمشروبات الدافئة، وطبعًا زمزم كولا، واتّجهنا إلى السيارات لتنقلنا إلى مقرّ المؤتمر حيث تبدأ الجلسات.

اليوم ٨ جلسات؛ ٤ صباحية و٤ بعد العصر، وكل ٤ جلسات بالتّوازي، والغرف متجاورة، وكلّ غرفة الجلسة بها دائريّة مستديرة، والغرفة تسعُ لمائتي فرْد، وأمام كلّ كرسي على المنضدة جهاز ترجمة، وبجواره زجاجة مياه كبيرة، وطبعًا زجاجة زمزم كولا، ياآآآآآه أخيرًا فيه ميّه من غير ما نطْلُبها،

دلفتُ إلى إحدى القاعات وفتحت زجاجة مياه وبدأت أشرب بنَهَم شديد، وإذا بمَن يضعُ يدَه على كتفي قائلًا: إنتَ فين يا ابني، دانا قلت رجعت مصر تاني.. قلت: أهلًا أهلًا سيادة اللّوا كيفَك صلاح بك؟ قال: يعني سألت عن أبوك؟ قلت: والله بدَوّر عليك. قال: إحْنا في فندق استقلال بعد ما اتْغدّينا معاكوا أوّل يوم في أزادي، خلّيك معانا بقى في القاعة فيها جلسة عن البُعد الاستراتيجي للقضية الفلسطينية بالنسبة للعرب.

جلستُ بجانب صلاح سويلم- رحمه الله- وجاء بجانبي د/ رفعت سيد أحمد، وبدأت الجلسة وفيها ستّين متحدّث ومائة مُسْتمع، وكان صلاح سويلم يقدّمها وهو مُمْتعض، فليس هناك جديد وكلّه هَجْس، وكادت رأسي تطيرُ من الرّغي في كلام خلاصتُه أنّ فلسطين أهمّ ما في الأمّة العربية، لكنّ المكوي بنارها هُم مَن بالجوار، وأكثرهم مصر، أمّا كلّ اللّي بعيد عنها في نوم وراحة، والجميع ينتظر تحرّك مصر حتى يتحركوا، فجأة قدّمني سويلم للتحدّث بعد مدحٍ وتعريف، فقلت: باختصار الأعداء يعرفون ما تقولونه جيدًا عن مصر، ولذا يقيّدونها بفئةٍ حاكمة فاسدة وعميلة وبرامج إفساد وليس إصلاح، ماسكين مصر من رقبتها فلن تتحرّك، ولذا علينا تغيير الاتّجاه، لا بدّ من تحرّك سوريا، لا بدّ من تحرك تونس، لا بدّ من تحرّك السعودية، لا.. لا.. السّعودية لن تتحرّك، والعراق دغدغوها بأيدي حكّامها.. لا بدّ من تحرّك إيران.. وصفق الحضور، وعلّق رفعت سيد أحمد مضيفًا بُعدًا سياسيًّا جديدًا لكلماتي، وهممتُ بالخروج، فطلب سويلم قصيدة لي عن مصر، فألقيت مصر

تفضلْ هيّ مصر.. مهما كان الوالي قاسي.. مهما كات الحاشية ماشية فوق رقابها بالمآسي... إلخ.

لاقتِ القصيدة إعجابَ الحضور، وعلّق سويلم قائلًا: (الشّعر أصدق إنباءً من الهَجْس)، خرجتُ إلى غرفة أخرى كان بها جلسة عن الآثار الفلسطينية، وكان يتحدّث فيها عالم آثار إيراني أشبه بالقرضاوي، ودخل على الجلسة اللواء صلاح سويلم وبعضُ الرّفاق بالجلسة السابقة بعد أن انتهت، ولم يمضِ وقتٌ قليل إلّا وأخذت الجلسة في الانتهاء، وقال مقدّمها، وكان سفيرًا لبنانيًّا: (يُسعدني أنْ أقدّم كلمة للواء صلاح سويلم)، واعتذر سويلم قائلًا: شكرًا، أنا متنازل عن وقتي لقصيدةٍ عن فلسطين للشاعر المصري ناصر صلاح، وأظنّه بالقاعة.. قلت في نفسي.. (وبعدين يا عمّ سويلم إنتَ مصيّتني ليه).. واسْتجبتُ وانتهتِ الجلسة، وإذا بعالم الآثار الإيراني يقتربُ منّي ويسلّم عليّ، ويعرّفني بنفسه شاكيًا الحكومة المصرية؛ حيث لم تمنحه تأشيرةً لدخول مصر لحضور مؤتمرٍ عن آثار فلسطين رغم دعوة جامعة عين شمس له، وقال إنه ينْتمي إلى إصلاحيّين يروْن أنّ مَن يهين الصّحابة كافر، وأنّ الخلاف بين السنة والشيعة يرجع إلى أحقّية خلافة عليّ فقط، ولكن لا يستطيع هو ومَن على مذهبه التحدّث والإعلان عن هذا الآن... لقد طالت هذه الحلقة، نُكْمل بعْدُ إن شاء الله.

(١٥)

رفسنجاني .. وسرقة حرفوش

أستاذ الآثار ذكّرني بأصدقاء كُثُر حكوا لي أنهم قابلوا في موسم الحج شيعةً محترمين يذهبون إلى ما ذهب إليه الرّجل، ابتسمتُ له وقلت: هدانا وهداهم الله. ونحن وقوف سمعنا أذانًا يأتي مِن بهو القاعة الكبرى كان وقت صلاة الظهر، تمّ فرش عددٍ كبير من السجّاد الفاخر، وكانت الجماعة الأولى للسُّنّة، وصلّى معنا دكتور الآثار وغيرُه من الشيعة، ولمّا انتهينا بدأ الشيعة يصلّون فرادى.

استأذنتُ من الحضور وصعدتُ للدّور الثاني لأتّصل بالقاهرة وأطمئنّ على والدتي وأخي وزوجتي وأولادي، واتّجهت إلى غرفة الضيافة لأجد الرّفاق حول الحلويات وزمزم كولا، فنظرتُ إلى سمير فرّاج قائلًا: صدقتَ يا سمير(عارف يا ناصر كلّ ما تمشي في شارع في طهران هيقابلك شِوال فُستق زيّ ما بتمشي في كلّ شارع في مصر تلاقي زير ميّه) فُسْتق؟ آه.. مش زمزم كولا، مش كده يا سمير؟! وإذا بجَمال الدرّة قلبُه يقفُ من الضحك ونلحقه ببعض الماء، وهو يقول: والله ما رأيناه إلّا في المطار.

عُدنا إلى الفندق، وغيّرنا ملابسنا، وتناولنا الغداء كالعادة الأرز الإيراني وما لذّ وطاب، وجلسنا في البهْو قليلًا نحتسي شايًا عجيبَ الطعم، وإذا بسمير يقول: يا للّا نتمشّى برّه الفندق شويّة.. قلت: خلّيها باللّيل بعد

ما نرجع من جلسات العصر. استأذنت لأنام قليلًا، وعند دخولي الغرفة وجدتُ خطابين على المنْضدة أمام السرير؛ الأوّل بالإنجليزية وكان دعوة من السيد السفير للعشاء بالسّفارة بعد غد، أمّا الثاني كان باللغة العربية وكان شكرًا من العازف الذي أهديتُه كوفيّة الشيخ ياسين، يا لها من لفتةٍ جميلة من موسيقي مُرْهفِ الحسّ، لقد قال في رسالته (أشكرك، فلأوّل مرّة أشعر بقيمة العزف) وتمنّى لي التّوفيق بالمؤتمر، واعتذر لأنّي لنْ أره مرّة ثانية لأنّه سافر لمدّة شهرين إلى البحرين.

حاولت النومَ لم أفلح فقد بدأتُ التّفكير في لقاء السفير الذي قابلني أحدُ صبيانه بافتتاح المؤتمر، فتحت التلفاز وكانت المفاجأة رفسنجاني يزور الخليج مفوّضًا من نجاد لحلّ مشاكل الجُزر، وتهدئة الأوضاع معهم، الحمدُ لله بالتأكيد لست وحدي مَن تحدّث في هذا وأشار إليه، فأنا مَن ليأخذوا برؤيتي!! أسعدني الخبرُ جدًّا، ونمتُ نومًا عميقًا لم أستيقظ إلّا على التّليفون يستعجلني؛ فالسيّارات ستتحرّك.

كالوضْعِ صباحًا تمامًا مع اختلاف عناوين الجلسات تركت القاعات وذهبت لمشاهدة معْرضٍ للصّور والرّسوم عن فلسطين، وبدأت أدوّن بيتًا أو اثنين على ورقة من ورقات النّوتبوك الخاصّة بالمؤتمر، وألصقها في برواز الصّورة، تقريبًا ١٠ صور، وجلست على بُعدٍ أراقب تعليق الناس، لا تتصوّروا سعادتي، وهناك مَن يُترجم الأشعار لغيره، وبدأ الحضور يسأل

الأمنَ عن حرفوش الموقّع أسفل الأبيات، هل هنا في المؤتمر؟ وأنا أقول لهم: ليس هذا بشِعْر، هناك مَن هو أفضل، هذه كلمات ضعيفة.

وهنا انبرى أحدُ الواقفين قائلًا: كيف؟ إنها أبياتٌ رائعة فصحى، لماذا تقلّل قدرها، أأنت شاعر؟

قلت له: نعم من مصر، وأنت؟

قال: ما يهمّك.

قلت: أهلًا رفسنجاني عندكم اليوم، وانتَ زعلان ليه كأنّه شعرك!

قال: هو شعري.

قلت: إذًا، أنت حرفوش.

قال: نعم أنا.

قلت: وما معنى حرفوش؟

قال: ما يهمّك.

قلت: يادي أمّ ما يهمّك دي!! إنتَ عارف إنّي حافظْ أشعارك دي!

قال: كيف؟

قلت: بصّ يا سيدي، أنا أعطي ظهْري للصورة، وأقول لك الأبيات اللّي عليها، شوف.. صورة الطّفل الباكي (هو اللّيل جاوز نصفًا وزادَه فلا تيأسن، فلم يبقَ إلّا قليل من الليل يطوي سوادَه) شوف يا سيدي صورة

الأطفال في المسجد المهدّم (ووعْدُ الله آتٍ لا محالة، ووعْدُ الله خصّ به رجاله، فحاذرْ مِن ظنون اليأس واعلمْ بأنّا لم نكنْ للوعْد آلة) شوف يا سيدي.... وإذا بوزير التعليم الإيراني يقول لي: أنتَ تحدّث مَن سيّد ناصر؟!! فالتفتّ؛ فلم أجدْ صاحبنا.. فقلتُ للوزير: شوف يا سيّدى في واحد كان هيسرق شعري اللّي على الصّور بسّ هرب.

أبلغني جنابُ الوزير أنّ غدًا العَشاء مجمّع للجميع في فندق الاسْتقلال، فهو يملك ساحة طعام تكفي الآلاف، وأنّ بعد غدٍ في السّاعة ٤، يعني مع بداية الجلسات المسائية الشّعراء معزمون عند خامينيي في قصرِه أمسية شعرية، ويتناولون العشاء معه، والسيارات ستتوجّه بالشّعراء من هنا من المؤتمر.

(١٦)

تورتة الآيس كريم وقافلة شباب

أنهينا جلساتِ اليوم الثاني، وتوجّهنا إلى الفندق، تناولنا العشاء وبحثت عن فاكهةٍ لم أجدها، فسألت أحدَ الواقفين لخدمة الضيوف فأجاب أنّ الحلو اليوم تورتة الآيس كريم، وسنتناولها بالبَهو مع الشّاي.. تورتة الآيس كريم! إيه العكّ ده؟ أحدّث نفسي بصوتٍ مسموع، اقتربَ منّي قائلًا: هي رائعة أخي المصري، أليس كذلك؟! نعم كذلك.

- أهلًا وسهلًا.. عارف الأبْيضاني رئيس منظّمة شباب الأمّة بلبنان سنّيّ.

- أهلًا بك، وكيف حال أخيك؟

- أخي مَن؟!

- عارف الأسْمراني!!

ابتسم الرجلُ وقال: هكذا المصري؛ دائمًا ضَحوك. التورتة بالآيس كريم من أروع الحلويات، وهنا أساتذة فيها، سوف لن تنسى طعمَها قطّ..

- سنرى.

وأكمل الرّجل، أخبرني د/ رفعت سيد أحمد أنّك في نادي الأدب المركزي لثقافة القاهرة.

– نعم.

– إذًا، بودّي أعرض عليك فكرة.

– تفضّل.

– أفكّر في قافلة مِن شباب العالم العربي إلى غزة نبدأها من المغرب مرورًا بالجزائر وتونس، ثمّ ليبيا إلى مصر، وصولًا لغزّة. قافلة رمزيّة تحوي ٥٠٠ شابًّا؛ تضامنًا مع فلسطين، ما رأيك؟

– فكرةٌ جيدة، لكنّها تحتاج إلى تربيطات واتفاقيات مع المسئولين في كلّ دولة.

– نعم، هذا ما نودّه أن تكون رسمية، ولن نحتاج من أي دولة أيّ شيء، مَعَنا خيامنا وعتادُنا وطعامُنا؛ فقط تسهيل المرور وترشيح ٥٠ من شباب كلّ دولة لينضمّوا إلى القافلة.

– عظيم، خدْ يا سيدي رقم مدير مكتب وزير الثقافة في مصر، وده رقم رئيس هيئة قصور الثقافة، وده رقم رئيس ثقافة القاهرة، وأنا عندما أنزل إلى القاهرة سأتولّى الأمر معهم.

– على بركة الله.

اتّجهنا للبَهو، وجاءت التورتة أم آيس كريم، ويا لَها من تورتة! ويا لَه من طعم؛ لقد استزدتُ منها ثلاثَ مرّات بقدر رُبع تورتاية كبيرة الحجم، انْتهينا من مراسم الشاي، وقام سمير قائلًا: يا للّا نتمشّى برّه الفندق. وبالفعل خرجنا ومعنا جَمال الدرّة ونائل الدّرة نتحدّث عن استشهاد محمد وما حدث بعدها، والناس في الطرقات يستوقفوننا ويسلّمون علينا، وخاصّة جمال الدّرة وسمير فرّاج، واستغربت: طبْ جمال عشان مشهدِ استشهاد محمّد وهوّ في حضنه؛ لكنْ سمير ليه؟!! وفوجئت أنّ سمير يشبه مسئول الرّئاسة المنوط به مجموعة الألف التي في فندق أزادي، ويبدو أنّه مشهور. يا بختك يا أبو سمرة. ألّا قولّي يا سمير، فين شِوال الفُسْتق اللّي كنت واجع دماغي بيه؟!! وضحك الجميع، في حين كنّا نشاهد محلّات السجّاد الإيراني. الله محلّات المكسّرات أهه، تعالى نسأل بكام الفُسْتق، قال ما يوازي ٤٠ ج مصري، يا نهارِ اسودْ، ده في مصر بـ ٤٠ج، نحاول ننزّل في السعر، أبدًا.. وبعدين؟ ولا قبْلين آدي احْنا هناكلُه في المطار واحْنا راجعين.

تصوّروا العشرة دولار غيّرتها بـ ١٠٠٠٠٠ من العملة الإيراني، لكنْ باكو اللّبان اللّي برُبْع جنيه في مصر بـ ٥٠٠٠٠٠ من العملة الإيراني، يعني بـ ٥ دولار؛ تصوّروا!!.

اليوم الثّالث للمؤتمر شبيهُ الثاني، جلسات متوازية أشارك فيها وأختم بقصائد، ونعود للغداء، ثمّ نواصل الجلسات، والآن نحنُ في فندق استقلال، مساحة رهيبة كالاسْتاد، بهْوُ الفندق قسمان؛ دائري داخلي يحتوي على ٢٠٠٠

مقعد، وخارجي بيضاوي كأنّه الحزام حول كوكب زحل يحتوي على الضّعف تقريبًا، يعني العشاء اليوم لزيادة عن ٦٠٠٠ فردًا؛ ٤٠٠٠ مدعوّن و٢٠٠٠ من إيران، بخلاف الخدم، واخْدم نفسَك بنفسك، بوفيه مفتوح، به أنواع لم أرَها من قبْل خشيتُ الخوضَ فيها، انتهيتُ من الطعام.. الله تورتة بالآيس كريم؛ ألْحَق آخد حتّة. انتهيت منها، وها أنا أبحث عن قطعةٍ أخرى، والعُلّيقة في رقبتي تعطّلني عن البحث فألقيتها بظهْري، وفجأة أحدُ الخدم يقول: (مستر ناصر، فور يو)، فابتسمت قائلًا: (فري سانكس)، لقد جاءني يتورتاية صغيرة من الآيس كريم. يا نهار أبيض! ده واقف يشوف احتياجات النّاس.. اصطدمت باللّواء صلاح سويلم.. إيه يا ابني، مش تفتّح، مبْهور، مش كدا؟ فحكيتُ له الموقف، قال: عادي، أنا واقف أدوّر على لحم الغزال المشوي، بتوع الخليج خلّصوا عليه، أصله مفيد ليهم. وضحك، ثمّ أكمل: لقيت واحد بيقول لي (جنرال، فور يو) وأعطاني طبقًا فيه لحم غزال.

ونحن نتأمّل القاعة والضجّة والزّحمة قابلت الرجل النّشيط وزير التعليم ليؤكّد على موْعد الشّعراء غدًا السّاعة ٤ عند خاميني، وتذكّرت موعد العشاء في السّفارة أيضًا.. المهمّ ما حدث كان مخالفًا للمتوقّع.

(١٧)

ناصف صالح وحفاوة السفير

يا جماعة، هل وجدتم جواز سفري المفقود؟ سنجدُه سيّد ناصر؛ لا تقلق أمامنا خمسة أيام. يا جماعة بقالُه ٣ أيّام ضائع. لا تقلق سيد ناصر في أسوأ الأحوال نعدّ لك جوازًا آخر.

ناديت جهاد المسئول عن خدْمتنا بالفندق:

– قل لي بصراحة.. جواز المُتْعة هنا كيف؟

– بسيطة، لا بدّ أن لا تقلّ إقامتك عن ٣ أشهر، وأنْ تضع في البنك ٣ آلاف دولار تأمين.

– بسّ!

– بسّ.

– لا.. دي حاجة سهلة خالص.

– أفتكر إنّه عندنا في السنّة حرام.

– ماتفتيش بسّ يا جهاد.

– تبقى ناوي.

- لا طبعًا، هوّ الجوّ مغري بسّ المشكوك فيه مشتبهات، وبعدين أجيب الـ ٣ آلاف دولار منين! (هههههه)

في الصّباح، اتّجهنا إلى فاعليّات اليوم الرابع جلسات معتادة، لكن اليوم غيرُ عادي؛ فبعْدَ قليل سنذهب إلى قصر خاميني لندوة الشّعر والعشاء.. طيّب بسّ ألبّي عشاء السفير إزّاي كده! استشرتُ د/ رفعت سيد أحمد، فقال لي: بلاش السّفير؛ ده روتين عادي عشان يقولوا إنّهم اشتغلوا. لم ترقْ لي هذه الفكرة.. المهمّ انشغلنا في الجلسات والشعر الذي يصرّ اللّواء صلاح ود/ رفعت وبعضُ العرب الذين عرفوني أنْ أختم به الجلسات، ورجعْنا للفندق، تناولنا الغداء، ثمّ عدنا للجلسات.. السّاعة الآن الخامسة، ولم يعلن عن تجمّع الشّعراء للذّهاب إلى الأمسية، دخلت إحدى الجلسات فإذا بوزير التعليم يقول لي: سيّد ناصر، ألم تذهب إلى الأمسية؟

- لا.. لمْ يُخبرني أحد، وكلّما سألت يقولون بعض الوقت حتى يأتي الباص.

- كيف! إنّهم اتّجهوا في الثالثة من الفندق.

- أنا كنت في الفندق، وآدي سمير فرّاج لم يذهب أيضًا.

وهنا ركب سمير ألفُ عفريت: إزّاي يا سيادة الوزير، هوّ احنا أيّ حاجة، نحنُ شعراء مصر.

وفجأة، جاء شاعرٌ مغربي وأنا أيضًا.. لا، هناك مشكلة، لحظة واحدة.

رفع الرّجل هاتفه وتحدّث إلى شخص ما، وقال له: لماذا لم تبْلغوا فلانًا وفلانًا وفلانًا؟ فقال له ناصر صلاح معنا، أمّا الباقي فقد اتّصلوا في الفندق بغرفهم وأبلغوهم.. ابتسم الوزير قائلًا: إيه مشكلتك سيد ناصر، أنت هناك الآن. (هههههه) وقال لهاتفه: صفْ لي السّيد ناصر..ثمّ قال: لا.. هذا نصّاب، أقال إنّه ناصر؟ اطّلعتَ على هويّته؟ وإذا به ناصفْ صالح من الجزائر.. اعتذر الوزير، وقال: لو شئتم نُرسل سيارة حالًا بكم إلى هناك، ولكنْ أظنّ لن تلحقوا بهم ولا باللقاء، رفضنا وكلّ منّا ذهب إلى إحْدى الجلسات، تركت المقرّ غاضبًا، وأخذتُ سيّارة خاصّة بحارسها إلى الفندق، تناولتُ عشاءً خفيفًا وتعاركتُ مع المسئولين، فمازال الجواز ضائعًا، وصعدت غرفتي، والضّغط عالٍ جدًّا لتلك المفارقات البائخة.

لم أكملْ ساعة استيقظتُ على جرس الهاتف.. سيّد ناصر، أنا حَسَن من السفارة، والسّيد السفير أرسلني لاصطحابك للعَشاء، أنا في انتظارك. يا لَحِرص الرّجل، لبست ونزلت.. ده السّفير موقّف العشا والله عشانك، النّاس كلّها هناك إلّا أنت، ورُحت المؤتمر لم أجدْك. قلت: آسف، تعبتك.

وصلنا.. ثكنة عسكرية.. أسوارٌ عالية، بوّابة زيّ بتاعت طُرة. مِن الدّاخل.. جنّة رائعة؛ زهور وجنين وفيلّا مدْهِشة.. اتفضّل، دخلت إلى البهو، قابلني السّفير:

– أهلًا أهلًا شاعرنا الكبير، كده تجوّع النّاس يا راجل!

- آسف جدًّا سيادة السفير.

- اتفضّل هنا الأوّل.

منضدة صغيرة عليها شوربة بالجمبري.. انتهيت من طبقي.. وإذا بالرجل الذي قابلني في افتتاح المؤتمر يقف خلفي:

- اتفضّل سيد ناصر.

- أهلًا درش، كيفك يا أستاذ مصطفى؟

- الحمدُ لله، اتفضّل هنا.

- يا للّا يا عمّ ناصر جوّعتنا.

يأتي صوت السّفير من خلف مائدة طويلة عريضة عليها نحو ١٥ فردًا، جلست في منتصفها أمامه مباشرة.. أمامي طعمية مصرية، فابتسمت وقلت: لا.. ده مش اتّفاقنا. ضحك الرجل وقال: لا.. دي طلب السّفير اللبناني، خلّيك علي اليمين الرومي والحمّام والمحشي.. المدام اللّي طابخة يا جماعة على فكرة. وأشار إليها، فنظرتُ فإذا بها امرأةٌ مُحتشمة مُختمرة خفيفة الظلّ، وحولها ٦ نساء. فقلتُ لسيادة السفير: أيّ من زوجاتك اللّي طبخت! فضحك قائلًا: لا، بلاش شغل المصريين ده! هي واحدة، والباقي ضيوف.

انتهينا من العَشاء، وقلت لسمير: هنا تيجي لوحدك.. أه. فقال: والله ظننتُك هنا من ساعة المؤتمر. فتدخّل السفير: أنا قمتْ معاه بالواجب، خلاص يا عمّ ناصر.

كان الرجلُ ودودًا.. جلسنا بالحديقة نتحاور ونأكل الحلوى والفُستق، ويشتكي لنا من أفعال مبارك السّيئة التي تعود عليهم بالمشاكل هنا، وألقينا قصائد واستمعنا لطرب، وأوصلتْنا سيّارة السفارة إلى الفندق في السّاعة ٢ فجرًا، قابلني جهاد: أين كنتم سيد ناصر؟ فقلت له: أستعدّ لزواج المُتعة.. (هههههه)

(١٨)

مائة مليون دولار لفلسطين

مازال لقاءُ السفير يستحوذ على تفكيري أثناء صعودي لغرفتي، وأنا أتوضأ، وأنا أصلي، قبل أن أنام، وأنا على الفراش أحاول النوم؛ إنّه رجل محترم، كان طبيعيًّا، لا يمثّل، إذًا لماذا لم يحضر اللقاء بعضُ الشخصيات الهامّة من مصر، حتى سعد الجمال وغيره من أعضاء مجلس الشعب والحزن الوطني، وكذا رفعت سيد أحمد وحمدين، وأين كانوا؟! الحمد لله أنهم ليسوا بفندقنا، الواحد استريّح منهم، يكفي لقاؤهم على السّريع بالجلسات.. وزوجة الرجل وحفاوتها ورجال السفارة الذين وعدوني بإنهاء مشكلة الجواز الضّائع، لا.. وحرص السّفير على إرسال مائدة للحرس في نفس الوقت الذي تناولنا فيه العَشاء.. جوّ جميل، وطبيعي.

قطع تفكيري دقٌّ على الباب..

– مين؟

– أنا سمير.

– إيه يا ابني، مش هتنام؟

– مش جايلي نوم يا ناصر، لازم نروح بُكْره لخامينى.

– ليه؟

– إنت عارف النّاس الكبيرة دى بتدّي هدايا غالية، وممكن فلوس، مش أقلّ من عشر آلاف دولار، أكيد اللّي راح اتروّق، وانا لازم أتروّق، إحنا ما ينضحكش علينا.

– يا سمير، انسى، النّاس صارفة علينا نحو ٣٠ ألف جنيه مصري، هيدّيك هدايا إيه تاني!

– لا.. لازم نروح.

– طبْ تتصوّر إني سعيد إنّي ماروحتش، اشمعنى الأمسية عند خاميني ليه مش في القاعة الكبرى وييجي يحضرها الموجود ٦٠ أو ٧٠ شاعر، أنا مستعدّ اقدّمهم في ساعة، والناس كلّها تسمعهم، الموضوع فيه إنّ وأخواتها، روح نام واتغطّى؛ السّاعة ٤ وجلسة الختام الساعة ١٠.

خرج سمير وفي رأسه خوض التّجربة، مازلت أفكر في الرّحلة كاملة، ويبقى أربعة أيام الختام اليوم ثمّ ثلاثة أيام تبقى في التّأشيرة، يبقى الواحد يريح الأيّام الباقية في مصر أحسن.. ربّك يقدّر ما يشاء.. باسمك اللّهم وضعت جنبي.

بعد الفطار، نتناول الشّاي في البهو، بجانبي سمير وعائلة الدرّة وبعضُ الشعراء.. يا جماعة اللّي حضروا ندوة أمس الشّعرية عند خاميني كانت أخبارها إيه؟ ردّ أحدهم وهو غاضب: زي الزفت. قلت: ليه؟ قال: لم يقدّموا إلّا خمسة شعراء من ٦٠ شاعر، واستأذن السيد خاميني لظروف

طارئة وتناولنا مشروب وكيك ورجعنا إلى الفنادق. قلت: والهدايا، هل من هدايا؟ قال: أقول لك لم نتعشّى كما وعدونا معه تقول هدايا!!

نظرتُ إلى سمير فابتسمَ راضيًا.. فقلت: الآن نعقد ندوتنا الختاميّة للشعراء، وتجمّع الحضور بالبهو قرابة المائة، وكانت أمسيةً رائعة، كان نجمُها المبدع سمير فراج.

اتّجهنا بعدها إلى الجلسة الختامية في قاعة الافتتاح، وقدّم محتشمي رؤساء الوفود للحديث، وقال محتشمي ضمن حديثه إنّ إيران خصّصت خمسين مليون دولار لمساعدة فلسطين، فطلبَ رئيس مجلس النّواب الجزائري الكلمة، وللأسف قال فيها: ليه تعطوا فلسطين أموال؛ الشعب المحتلّ ما بياكل حتى يحرّر أرضه، إحْنا في الجزائر راح منّا ٢ مليون لتحرير أرضنا كمْ راح من الفلسطينيّين؟ الفلسطينيّون أغنياء في الدول العربية أكتر من أهلها، إحْنا ساعدناهم كتير، و....و....و.... وهنا هاجت القاعةُ وماجت، فأشار محتشمي بالهدوء، ثمّ عقّب قائلًا: شكرًا لجهاد الجزائريّين على أرضهم، وإذا كان حدّ أعطى لفلسطين؛ فمصرُ أكثر من أعطى، ومهْما كان خلافنا السّياسي مع قادتها لكنّها السّند الأساسي للقضية، وعلى فكرة وصلني الآن من نجاد أنّ الخمسين مليون دولار من إيران لفلسطين أصبحوا مائة مليون دولارًا، فشكرًا للجزائر على هذه اللّفتة الطيّبة.. (هههههه).

كان هذا أبرزَ مشاهد الختام، ثمّ خرجنا للرّاحة، أتجوّل في طرقات المبنى مودّعًا إيّاها، وأحتسي كوبًا من الشّاي، التفتّ حولي فإذا به يحدّث فتاة إيرانيةً

جميلة، ويضحك معها قاصدًا لَمْسَ يديها متعمّدًا خفّةَ الظلّ المكشوفة، اقتربتُ منه.. نعم هو مَن ادّعى أنّ أشعاري التي على الصّور تخصّه؛ أتذكرونه؟! وقلتُ له مفاجئًا: أهلًا أستاذ حرفوش، شوف يا سيدي.. ولم أكمل، ابتسم وقال: شاعرنا الكبير، هلَا بك، أبحث عنك، أستأذنك لحظات؛ بدّي تشهدْ شيء أُحضر حقيبتي، لحظة.. وفرّ من أمامي في فينتو ثانية. تعجّبت الفتاة، فقلتُ: لا تتعجّبي.. فلنْ يعود. ابتسمتُ واستأذنت، وعلى بعد خطوات اصطادها سمير فرّاج.. فابتسمت.

فجأة دماغي قفلت.. (أنا هسافر النهارده. إنتَ اتجنّنت؟! أه) أحدّث نفسي، ناديت سمير، وقلت:

- أنا هسافر دلوقتِ.

- إنتَ أهبل!

- آه، خلاص قفلت، هتيجي معايا الفندق واللّا لأ؟!

- الساعة ١٢ دلوقتِ، وفي جلسة توصيات كمان ساعة، وجلسة وداع بعدها، و٣ أيام فُسَح براحتنا، ننزل السّوق اللّي ماعرفناش نروح ناحيته.

- خلاص قفلت، أنا رايح الفندق.

وأمام إصراري اسْتجاب سمير، ودّعت الدرّة وأخاه، وطبعًا تركتهم في عجبٍ شديد.

(١٩)

الطائرة الخامسة من المدينة للمطار

حاول سمير طوالَ الطّريق إلى الفندق أنْ يثنيني عن فكرة السّفر؛ وفشل.. وصلنا الفندق.

- سيّد ناصر. جواز السّفر الخاص بك وجدْناه.

- شكرًا، واشكرْ لي السّفارة المصرية..

- عفوًا، هو كان بحقيبة سيادتكم الخاصّة بالمؤتمر، تفضّل.

- وكيف تسلّم الحقيبة في ختام المؤتمر؟ وهل علمتم حقيبتي عن باقي الحقائب!

- سيّد ناصر، أنت متوتّر، من فضلك اهدأ قليلًا، وأنت متورّط مِن فضلك أين الحقيقة!؟

صمتَ قليلًا عاملُ الاستقبال في الفندق، ثمّ أشار إلى الرجل الشّبيه بسمير فراج المسئول من الرئاسة فجاء مسرعًا..

- أهلًا شاعرنا، لماذا تركت المؤتمر؟

- لا، المؤتمر خلص، أنا عاوز أسافر الآن مصر.

- كيف!؟

- كده.. (وفردتُ ذراعاي أطوّح بهما كالطائر) بالطيّارة. أودّ السّفر حالًا.

- السّاعة الآن الواحدة سيد ناصر! ولا أدري شيئًا عن مواعيد الطّيران، والمقرّر السّفر بعد ٣ أيام، لماذا لا تستمتعْ بعد عناء المؤتمر بزيارة العتباتِ المقدّسة والأماكن السياحية!؟

- سيّدي، لدينا بالقاهرة ميدان كبير اسمُه العتبة، أمرّ عليه إلى عملي يوميًّا وسوف أصطحبُ أسرتي للمصيف على البحر بعد شهر، لا ترهق نفسك سوف أصعدُ إلى غرفتي أعدّ حقيبتي وأعودُ في دقائق لتنهي لي موضوع السفر.

تركتُه مع شبيهه يتحاوران في جناني المفاجئ.

ماذا فعلت!؟ سنذهب إلى طيران الخليج بوسط المدينة لنرى ماذا يمكننا أن نفعله. تركت حقيبتي بالفندق، واصطحبني في سيارة الرئاسة ومعي سمير إلى قلب طهران حيث الزحمة والنّاس والمدينة بطبيعتها، وصلنا إلى مكتب الطيران بعد محاولات ليس هناك مكان سوى بطائرةٍ إلى البحرين بعد ساعةٍ من الآن، ثمّ مبيت بالبحرين والسّفر صباحًا إلى مصر.

- موافق.

– لن نلحق.

– حاول.

اتّصل بالمطار: نحن في الطريق، معنا دبلوماسي مصري، لا بدّ وأنْ يلحق بطائرة البحرين، لا.. مهمّ جدًّا.. جاهدوا.. ونحن نجاهد.. سيد ناصر، ربّما لنْ نلحق؛ الطريق يأخذ ساعة ونصف بسرعة ١٢٠ ك في الساعة، والطائرة بعد ٥٠ دقيقة.

– لا تحاول؛ سوف أسافر الآن.

يتّصل بالفندق: أرسلوا حقيبة السيد ناصر صلاح إلى المطار فورًا بأيّ طريقة.

ازدادت سرعةُ السيارة بطريقة رهيبة، أخرج شارةَ الرئاسة بذراعه من الشّباك، فتحت إشارات المرور قبل الوصول إليها، الآن في الطريق السريع أشعرُ وكأنّ السيارة تطير من على الأرض، نعمْ هي الطائرة الخامسة، سمير يقبض على ذراعي بشدّة قائلًا: بالراحة يا عمّ إنت هتوصّلنا التُّرَب قبل الرّاجل ما يوصل مصر، تزداد السّرعة الرهيبة ويبتسم شبيهُه: شرّفت سيد ناصر، كنت أتمنّى أن أجالسك،على فكرة أنا قريب محتشمي رئيس مجلس الشورى والمؤتمر.. قلت: كده! طيب أعطيه الرسالة دي، أنا كتبت فيها رؤيتي لأحداث المؤتمر من سلبيّات وإيجابيّات وشكوتي لبعض ممّا حدث

لي، كنت أنوي تسليمها للسّفارة في مصر. قال: حاضر، ونأسف سيد ناصر عن أيّ أخطاء.

وصلنا المطار الساعة الثالثة وخمس دقائق، ودّعت سمير وشكرتُ الرّجل..

– الحقيبة ستأتيك حالًا. ها هي قد جاءت.. مع سلامة الله.

– شكرًا لك، أتعبتُك معي، هل لي بمعرفة اسمك.

– سمير فضل الله.

ابتسمتُ ونظرت لسمير حتى الشّبه في الاسم!

استقبلتني بالمطار نفسُ الفتاة التي استقبلتني عند الوصول فجرًا.. أهلًا أهلًا، كيفك؟

– الحمد لله.

– لماذا تتعجّل السفر؟

– لديّ مهامّ في مصر.

– سعدنا بلقائك يا سيد ناصر.

ثمّ التفتّ لنداء باسمي:

– سيّد ناصر.

- أهلًا مصطفى بك.

- مع سلامة الله يافندم، تؤمر بأيّ خدمة؟

- شكرًا لك، وتحيّاتي للرّجل المحترم سيادة السفير.

- عفوًا يافندم، هو سمير مش مسافر معاك؟

- للأسف لسّه هيكمّل زيارة العتبات.

- سعدْنا بك، مع السّلامة.

- شكرًا لحرصك على رؤيتي، والاطمئنان عليّ، مع السلامة.

دخلتُ الاستقبال لحين إنهاء الأوراق.. أكلتُ الفُسْتق لثالث وآخر مرّة، والحلويات وزمزم كولا، فلمْ أتغدّى بعد، اتّجهت للطّائرة، وتناولت غداءً خفيفًا بها، لم تكُ مضيفاتها لافتات للنّظر، فانشغلت باستعراضِ حالات جناني بهدوء.. ونكمل آخر الحلقاتِ غدًا إنْ شاء الله.

(٢٠).. والأخيرة

العودة بين البحرين ومصر

وصلْنا البحرين..

- يا فندم، حمدًا لله على السلامة، أستأذنك تربط الحزام عشان الهبوط.

- شكرًا، إنتِ مصريّة؟

- لا، تونسية.

- أهلًا بك، وشكرًا مرّة تانية.

كنت قدْ سرقت بضعَ لحظات للنوم.

أنهيتُ إجراءات الخروج، وطالبتُ بحقيبتي، فقالوا إنّه غير مسموحٍ بها إلّا في مصر؛ هي أمانات الآن. يا جماعة بالعقل، أنا هبات اللّيلة في البحرين، يبقى أنام بالبدلة، مش معقول! تدخّل أحدُهم: إحنا آسفين جدًّا، حضرتك مُمكن تستخدم روب الحمّام، كلّها سواد الليل وطائرة القاهرة السّاعة ٨ صباحًا إنْ شاء الله.

استسلمتُ للأمر، ما باليد حيلة.. لكنّني قلت له بجديّة مُفْرطة: ماشي، بسّ أنا مش مسئول عن أيّ حاجة تحصل من خلال الشنطة، هي دلوقتِ بتاعتكم انْتم، سلام عليكم.

تركتُه وعلاماتٌ كثيرة على وجهه، وبدأت التّجوال بالدّور الأرْضي للمطار، وأحتسي مكة كولا، وأتّصل بالعائلة أطمئنهم، أنتظر السيارة التي ستقلّني إلى الفندق، ها قد جاء السائق يحملُ لوحةً صغيرة عليها اسمي، اتّجهت إليه.. أهلًا وسهلًا، أنا ناصر. أهلًا بحضرتك اتفضّل معايا. الله الله.. البلد جميلة جدًّا، والشّوارع رائعة، ومنظر الخليج الله الله.

- حضرتك أوّل مرّة تنزل البحرين؟

- صحيح.

- طبْ مُمكن أفسّح حضرتك دقايق؟

- براحتك يا عمّ، هيّ ليلة بسّ.

- أعرف، وفي الصباح سأصطحبُ حضرتك من الفندق للمطار.

- على بركة الله.

أخذني الرجل- جزاه الله كلّ خير- إلى الجسر بين البحرين والسّعودية، وبدأ يشرحُ لي كيف يسّر الجسرُ التّنقلات بين البلدين، وأنّه يتمنّى أن تكون هناك جسور بين الدول العربية، لفّ بي عدّة مناطق ساحلية نشاهدها من داخل السيارة، إشارات المرور بلا عساكر، فقط العلامات والجميع يحترمها، حتى المصري الذي لا يحترم الإشارةَ في بلده.. ها قد وصلنا الفندق الإنتركونتيننتال، فرع البحرين.

صعدتُ، الطرقة طويلة جدًّا، وتصطفّ الغرف كعنابر المستشفى بجوار بعضها البعض، وعلى الناحية المقابلة نفس النظام، فتحتُ غرفتي؛ الحمّام على يمينك في البداية، ثمّ على يمينك بهْو الغرفة بها سريران، حائط الغرفة المجاورة مستند عليه دولابٌ صغير، به كافة أنواع الخمْر (لا حول ولا قوة إلّا بالله)، على الدّولاب سخّان كهربائي صغير وشاي وقهوة، بجوار الدّولاب منظر طبيعي في الحائط نخلة طويلة، بجوار المنظر منضدةٌ عليها تلفاز ٢٤ بوصة على اليسار.

غسلتُ وجهي، ونزلتُ إلى المطعم أتناولُ الغداء، وكان سمكًا بوريًّا مشويًّا، ونوعٌ لم أرَه من قبْل لكنّه لذيذ، ربما كان سبّيطًا، المهمّ.. المطعمُ على حمّام سباحة في وسط الفندق، فكّرت النزول إليه، ولكن كيفَ والحقيبة بالملابس في المطار.. (هههههه)، تخيّلت نفسي بالملابس الداخلية نازل من الغرفة لحمّام السباحة، وأخذتُ بالضّحك بصوتٍ عال دون أن أدرك نظراتِ مَن حولي.

صعدتُ للغرفة تخلّصت من ملابسي، دخلت إلى البانيو وكأنّي أغسل كلّ أحداث الرحلة، وأنا خارج من البانيو انزلقتُ فوقعتُ على الأرض، وجرحتُ ركبتي، بحثتُ عن مطهّرات وإسعافات أوّلية.. ها هي؛ بلاستر طبّي وبيتادين، وما هذا!! يا ولاد الـ..... أليس هذا ما رفضت أمريكا منحه لمصر بعد أن باع المصريون كميّات كبيرة منه في العيد على أنّها بلالين؟! دول جاهزين بقى لكلّ حاجة (هههههه)، ارتديتُ ملابسي الدّاخلية، وجلست

على السرير، وفتحت التلفاز أقلّب مندهشًا.. إيه الموضوع! كلّها قنوات جنس، أنا فين؛ في البحرين واللّا في باريس!! صدقَ مَن قال: البحرين خمّارة العرب، أخيرًا وجدتُ قناةً تنقل مباراة للأهلي المصري والإسماعيلي، مستغرق في المشاهدة، وإذا بالنّخلة- المنظر الطبيعي على الحائط - تتّجه ناحيتي، إيه الموضوع! في زلزال أكيد؛ الحيطة بتتحرّك، وإذا بامرأةٍ عجوز أجنبية تدخل غرفتي عبرَ الحائط وعندما شاهدتني قالت: (سورى ماي صن) فأجبتُ مندهشًا (نوت آت أول مازر)- وطبعًا لو كانت حفيدتها كان الوضع اتغيّر-، المهمّ اكتشفت أنّ المنظر الطبيعي مجرّد باب بين الغرفتين، مش باقولّكم مجهّزين كلّ حاجة.

في الصباح، جاء السّائق واصْطحبني للمطار، ركبت الطّائرة وكأنّ همًّا ثقيلًا انْزاح من على قلبي، ها نحن في أجواء مصر، وردّدت أبياتي:

صبـــاح الفـــلّ يا بـــلادي

على أهلـــك على ناســـك

دا مهْما ابعـــد واتغـــرّب

أعود مُحْرم أعود ناسك

ومهْما الخمـــرة تتحـرّم

حـلال الشّرب من كاسك

فوجئتُ في المطار بجزء كبير من الوفد المصري والفلسطيني يعود، لكنْ من طريق دبي في نفس اللحظة، لم أخرجْ مع الوفد رغم مراسم الاستقبال، وخرجت مع الغلابة، وأنا في طريقي للخروج استوقفني ضابط الجوازات:

- لحظة واحدة من فضلك.

وجاءني ضابط من الداخلية:

- حمدًا لله على سلامتك أستاذ ناصر.

- الله يسلّم حضرتك.

- لعلّ الرّحلة جميلة.

- جدًّا.

- إزّيّ إيران.

- بتعْشق مصر، والرّئيس بتاعها جزمتُه برقبة مبارك.

- اتفضّل يا أستاذ ناصر، مع سلامة الله.

خاتمة

بعدَ هذه الرّحلة بسنوات قليلة، حدّثني عبْر الهاتف المُلْحق الثقافي لطهران بمصر، موجّهًا دعوةً لي مِن طهران لحضور مؤتمر شعري عن فلسطين.

فرفضتُ الدّعوة، وعندما ألحّ قلت له: لبّيْت دعوةً سابقة عندما كان دعْمُكم لفلسطين ضدّ إسرائيل، لكن ما تقوم به إيران الآن في العراق من مذابحَ للسّنة هو أفضلُ مساعدةٍ لإسرائيل، أنتُم بوجْهين، أبلغِ السّفارة والدّولة بذلك؛ لا يشرّفني أنْ ألبّي الدّعوة الآن.

وللأسف، قرأتُ في الجرائد بعدها أنّ عددًا من شعراء مصر حضروا المؤتمر وبمُراجعة أسمائهم، الحمدُ لله لم أجدْ أحدًا منهم أعرفُه.

السيرة الذاتية

- الشّاعر/ ناصر صلاح (حرفوش المجذوب)
- مواليد ١٢ مايو ١٩٦٨- المنصورة.
- مدير مكتب النّقيب، وإدارة السكرتاريه بنقابة المهن العلمية.
- رئيس نادي الأدب بقصر ثقافة المطرية، وعضو نادي الأدب المركزي لفرع ثقافة القاهرة (لدورتين من ٢٠٠٥-٢٠٠٧ ومن ٢٠١٨- ٢٠٢٠)
- المشرفُ العام على ملتقى الوعد الأدبي وإصداراته (سابقًا) قبل توقّفه.
- أشْرَفَ على الصّفحة الأدبية بجريدتي (الميثاق الدّولية، وصوت بلدي).
- شاركَ في الإشراف على الصفحة الأدبية بجرائد (آفاق عربية- الأسرة العربية- النهوض).
- شارك في الإشراف على سلسلتي (آفاق أدبية وقصيدة) مع أستاذه الشّاعر/ وحيد الدهشان.
- عضو العديد من الملتقيات الأدبية.
- فاز بالمراكز التالية:

١- الأول، في مسابقة جمعية أصدقاء باكثير عام ٢٠٠٢.

٢- الأوّل في جمعية الرّابطة الإسلامية عام ٢٠٠٧.

٣- الثّاني في مسابقة آفاق عربية عن الإسراء والمعراج، عام ٢٠٠٥.

- مثّل القاهرة في مؤتمر أدباء مصر بالأقصر عام ٢٠٠٤، ومرسى مطروح عام ٢٠٠٨، والقاهرة ٢٠١١.
- عضو شرف محافظة القاهرة، شخصية عامّة بشرم الشيخ ٢٠١٢.
- مثّل مصر في مؤتمر القدس الدولي في طهران عام ٢٠٠٦.
- مثّل القاهرة في مؤتمر بورسعيد الأدبي الخامس، عام ٢٠٠٧.
- رأس لجنة العلاقات العامة بمؤتمر ذوي الاحْتياجات الخاصّة الأوّل عام ٢٠٠٩، والثاني عام ٢٠١٠، وعضو لجنة الأبحاث للثالث ٢٠١١.
- مقرّرٌ لمؤتمر رابطة أدباء الحرية الأوّل، سبتمبر ٢٠١٢.
- كرّمته وزارة الثقافة ممثّلةً في الهيئة العامة لقصور الثقافة بمؤتمر ثقافة القاهرة، عام ٢٠٠٧.
- كرّمَه مُلتقى الطّليعة الأدبي بساقية الصاوي، عام ٢٠٠٧.
- كرّمه مُلتقى الواحة في مهرجان الشعر العاشر لجمعية الرعاية المتكاملة، عام ٢٠٠٧.

• كرّمته حركة ٦ أبريل بعد ثورة ٢٥ يناير باتّحاد الكتاب، مايو ٢٠١١.

• كتب عن أعماله: يس الفيل، وكمال نشأت، وحسن فتح الباب، وخالد فهمي، وعبد الناصر الجوهري، ورمضان أحمد، ومصطفى أبو طاحون،... وغيرهم.

• تُنشر أعمالُه بالصحف القومية والمعارضة والمجلات الدورية.

• عُقدت معه وحوله عدّة لقاءات إذاعية وتلفزيونية.

• شاركَ في تحكيم عدّة مسابقات أدبية.

صدرَ له:

١- إلى الوطن السّليب غدًا نعود- صور ولقطات شعرية عن المقاومة- عام ١٩٩٩، مركز يافا.

٢- المجموعة الأولى من أغاني حرفوش المجذوب، عام ٢٠٠٠، عن سلسلة آفاق أدبيّة.

٣- المجموعة الثانية من أغاني حرفوش المجذوب، عام ٢٠٠٣، عن سلسلة الوعد الأدبي.

٤- من حواديت جدّي، عام ٢٠٠٥، عن سلسلة قصيدة.

٥- شارك في إعداد كتاب أجمل مائة قصيدة، عام ٢٠٠٧، عن مؤسسة اقرأ.

٦- الشّوارع هُسّ هُس- المجموعة الثالثة من أغاني حرفوش المجذوب عام ٢٠٠٩، عن هيئة قصور الثقافة.

٧- المجموعه الرّابعة من أغاني حرفوش المجذوب، بعنوان بقلع الضرس، عام ٢٠١١.

تحت الطبع:

١- كتاب ظرفاء المُلتقيات- حول نوادر الأدباء.

٢- شجون- ديوان فصيح.

٣- المجموعات: ٤، ٥، ٦ من أغاني حرفوش المجذوب.

٤- روح الشّعر- كتاب يحوي عدّة مقالات نُشرت بجريدتي الأسرة العربية وشباب مصر، عامي ٢٠٠٦ و٢٠١٠.

٥- محطّات على طريق الإبداع، حول أهمّ الشخصيّات والأحداث تأثيرًا في رحلته الأدبية.

٦- وقفات مع الآيات- تأمّلات في بعض آيات القرآن الكريم.

المحْتوى

م	الـمـــوضوع	الصفحة
	الإهداء	٥
	مدخل	٩
١	قبل البداية	١١
٢	دعوة للسفر	١٣
٣	في المطار	١٥
٤	في الطائرة	١٨
٥	في الإنتركونتيننتال	٢١
٦	في مطار البحرين	٢٤
٧	في مطار دبي	٢٧
٨	في مطار طهران	٣٠
٩	في فندق أزادي	٣٣
١٠	مجلس الشورى الإيراني	٣٦

١١	افتتاح المؤتمر	٣٩
١٢	أنا وخالد مشعل	٤٣
١٣	الله أكبر فوق كيد المعتدي	٤٦
١٤	الشعر أصدق إنباءً من الهَجْس	٥٠
١٥	رفسنجاني وسرقة حرفوش	٥٣
١٦	تورتة الآيس كريم وقافلة الشباب	٥٧
١٧	ناصف صالح وحفاوة السفير	٦١
١٨	مائة مليون دولار لفلسطين	٦٦
١٩	الطائرة الخامسة من المدينة للمطار	٧٠
٢٠	العودة بين البحرين ومصر	٧٥
	خاتمة	٨٠
	السيرة الذاتية	٨١